كتاب اليوم

احمد رجب

أى كلام

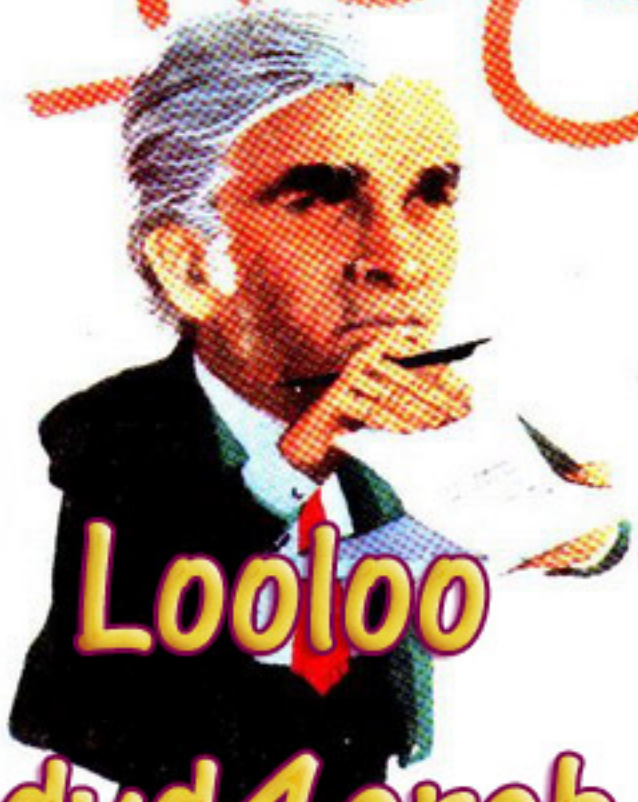

Looloo
www.dvd4arab.com

كتاب اليوم
انتسه
مصطفى أمين وعلى أمين
ثقافة اليوم وكل يوم
رئيس مجلس الادارة
سعيد سنبل
العدد محرم ١٤١١ هـ
٣١٢ اغسطس ١٩٩٠ م
آب
الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولى ٩٢٢١٥ ـ محلى ٩٢٢٨٢
الاشتراكات
جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى
البريد الجوى
دول اتحاد البريد العربى والافريقى ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله
باقى دول العالم واوربا والامريكيتين واسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ أ ش الصحافة
القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

المغرب	٢٠	درهم					
لبنان	٧٠٠	ليرة					
الأردن	٧٥٠	فلس					
العراق	٧٠٠٠	فلس					
الكويت	٧٠٠	فلس					
السعودية	٧	ريالات					
السودان	٩٠٠	قرش					
تونس	١٤٠٠	مليما	سلطنة عمان	٧٠٠	بيسة	الامارات	٨ درهم
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما	غـزة	١٠٠	سنت	قطـر	٨ ريالات
سوريا	١٤٠٠	ق س	ج اليمنية	١٠	ريالات	انجلترا	١٢٥ بنى
الحبشة	٦٠٠	سنت	الصومال بيزيا	٨٠	بنى	فرنسا	١٠ فرنك
البحرين	٨٥٠	فلس	السنغال	٦٠	فرنك	المانيا	٥ مارك

في الخارج

إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة			
هولندا	٥	فلورين			
باكستان	٣٥	روبية			
سويسرا	٤	فرنك			
اليونان	١٠٠	دراخمة			
النمسا	٤٠	شلن			
الدنمارك	١٥	كرونات			
السويد	١٥	كرون			
الهند	٣٥٠	سنتا			
كندا امريكا	٣٠٠	سنت			
البرازيل	٤٠٠	كروبزو			
بيورو دولمر	٣٥٠	سنتا			
نور اليلوس	٤٠٠	سنت			
استراليا	٤٠٠	سنت			

● الغـلاف : مصطفى حسـين
● الماكيت : محمد عفت

أى كلام .. وصورة من قريب !

●● يمكن ان تضبط ساعتك عند ظهور سيارته امام المبنى القديم لدار اخباراليوم .

بالضبط .. تمام العاشرة ينزل من مقعده الامامى ، المجاور للسائق ، ثم يمضى مباشرة إلى المدخل ، إلى المصعد ، إلى الحجرة رقم ـ ٥٣ ـ التى يقول انه قضى نصف عمره بها ، لا يلتفت يمنة ولا يسرى ، واذا ما التقى به شخص ما . فإنه يتحاور معه بسرعة ، يجيب اجابات مقتضبة ، وكانه يعلن عن رغبته فى الانفراد .

اذ يدخل الحجرة التى تقع فى الطابق الثالث . حيث مكاتب مجلة أخر ساعة ، وقسم التصوير ، والمكتبة ، والارشيف ، طابق يضج بالحركة ، ومع ذلك يتوارى باب هذه الغرفة التى لا يمكن ان تدخل اليها مباشرة الا بعد اجتياز ممر قصير فى نهايته دورة مياه خاصة ، وإلى يمين الداخل باب يؤدى إلى الغرفة مباشرة ، مرتفعة الجدران ، مغلقة تماما ، يضيئها نور خافت ، غير مباشر مجرد مكتب ، ومكتبة ومقعدان فى مواجهة المكتب مباشرة ، ومذياع وجهاز تسجيل تنبعث منه طوال النهار موسيقى كلاسيك يفضلها .

بمجرد دخوله ، يتقدم ليغلق الباب الخارجى بالمفتاح .

هكذا تبدا عزلة احمد رجب اليومية ، لا يرد على الهاتف لا يستقبل احدا الا فيما ندر ، وبموعد سابق .

لا اعرف كيف يمضى احمد رجب وقته الذى يقع بين دخوله المكتب فى العاشرة صباحا ، وحتى انصرافه فى الثانية والنصف ، لا ادرى كيف يفكر ويكتب فى هذه الغرفة المغلقة عليه من الخارج ، لا ادرى من اين منابع خفية ،تستعصى على المتابع تتفجر هذه الطاقة الساخرة ، النادرة ، وتعبر عن نفسها فى اربعة محاور يوميا ، وباستمرار ورغم اية ظروف معوقة او طارئة تبرز على صفحات جريدة الأخبار ، لتبعث وتفجر الابتسامة من أغوار القلوب ، واستثارة الاحساس الساخر من الشعب المصرى امر فى حاجة الى طاقة خارقة ، لأن المصريين

بطبعهم يتمتعون بحس نادر من السخرية والقدرة على توليد الفكاهة واللماحية . وفى تقديرى ان تاريخهم العريق . الطويل ، ومعاناتهم الطويلة . اكسبتهم هذه القدرة .

يوميا . وعلى صفحات الأخبار . يقدم أحمد رجب اربع لقطات ـ ان جاز التعبير ـ ساخرة . اولها فى الصفحة الاولى . مطرب الأخبار . هذه الشخصية النادرة الغريبة . التى استوحاها أحمد رجب من واقعنا المعاصر جدا .

وهذه الشخصيات التى تطل علينا من خلال الرسم اليومى للفنان مصطفى حسين . كمبورة . جنجح . عزيز بيه الاليت . الكوماندة . وغيرهم من الشخصيات التى اضافها أحمد رجب الى واقعنا اليومى . فكأنهم يسعون بيننا من لحم ودم . وثالثا . هذا المحور الذى يتناوله أحمد رجب باستمرار فى كتاباته . والذى يدور حول العلاقة بين الرجل والمرأة . ويظهر على مستويين . الاول يومى فى هذا الرسم الصغير فى الصفحة الاخيرة الذى ينشر تحت عنوان ثابت هو « الحب هو » وفى ذلك المقال الاسبوعى الذى يكتبه فى أخبار اليوم .

أما المحور اليومى الرابع . فكلمته المركزة جدا . والتى ينشرها تحت عنوان « نصف كلمة » تحوى نقدا اجتماعيا او سياسيا لاذعا . كل ما عرفته عما يجرى داخل الغرفة ٥٣ . اثناء وحدته . ان السطور الاربعة او الخمسة التى يكتبها يوميا يعانى فى صياغتها وكتابتها معاناة شديدة . اذ يمزق ما يكتبه عدة مرات . وخلال اتصالى به من اجل اخراج هذا الكتاب اكتشفت مدى الحذر الذى يصل الى حد الخوف الشديد من القارىء . أو لنقل بمعنى أخر الحرص على احترام القارىء .

يقدم أحمد رجب أعماله بتواضع شديد . ويعيد صياغتها اكثر من مرة .

يوميا . يجتمع بالفنان مصطفى حسين . حيث يمده أحمد رجب بأفكار الرسوم اليومية الثلاثة . وتلك علاقة نادرة فى تاريخ العمل الفنى والصحفى واظن ان الذى مهد لها هو المرحوم على امين . هكذا جمع بين عبقرية أحمد رجب الساخرة . وموهبة مصطفى حسين النادرة .

احمد رجب كما عرفته مثقف كبير . قارىء جاد للاعمال الادبية . متابع دقيق لاحدث ما يظهر من نتاج فكرى وادبى . يكن احتراما عميقا للموهبة الحقيقية ويعمل على دعمها . ينحاز الى الاجمل . الى الاصدق . مؤمن تماما بحرية التعبير . والتفكير . وفى الى حد نادر لاساتذته واصدقائه . رأيت ذلك فى علاقته بمصطفى أمين .

سخريته فيها تأمل وعمق وحزن تستمد مقوماتها من روح ساخرة . وموهبة نادرة . وثقافة عريضة . واستناد الى تراث طويل . طويل . للشعب المصرى . تراث يجعل الانسان المصرى أسيان فى ذروة فرحه . فاذا ضحك طويلا . أو من القلب . يتوقف على الفور ويقول « اللهم اجعله خيرا .. »

لقد اختار أحمد رجب لكتابه هذا عنوانا غريبا « أى كلام » وهذا العنوان بقدر ما فيه من سخرية . بقدر ما فيه من أسى خفيف . فالحقيقة ان الكتاب ليس اى كلام . ولكنه كلام فى المليان جدا . فى حياتنا اليومية . فى الصحافة . فى الثقافة . فى علاقة الرجل والمرأة . هذا ما تحويه الصفحات التالية . شذرات تبدو ولكنها فى الحقيقة تتضمن رؤية متكاملة . رؤية ساخرة نفاذة .

ومعذرة لهذه السطور ذات الدم الثقيل . التى نقدم بها احدث ما كتب الساخر العظيم .. أحمد رجب .

● جمال الغيطانى

أبوزيد .. السلاح السرى لعلى أمين

فى الخمسينات . فصلنى على أمين عشرات المرات . وانزلنى من نائب رئيس تحرير إلى محرر عشرات المرات . وعشرات المرات أصدر قرارا بنقلى بوابا لأخبار اليوم على أن يحل محلى أبوزيد البواب نائبا لرئيس التحرير !

وقد كان أبوزيد هو الانسان السوبرمان الذى صنعه على أمين ، ولم نكن نعرف مواهب هذا السوبرمان الأبوزيدى إلا فى خلال ثورات على أمين من أجل الأكمل والأفضل . فإذا لم يعجبه توضيب صفحة قال لسكرتير التحرير : أنا أجيب أبوزيد يوضب بدالك ، وإذا أفلت خبر من مخبر : أنا أجيب أبوزيد يشتغل مخبر بدالك . وإذا لم تعجبه صورة : أنا أجيب أبوزيد يصور بدالك ، وإذا توقفت المكنة أثناء الطبع ، وتأخر المهندس دقائق فى ادارتها : أنا أجيب أبوزيد يدورها بدالك !

وشخط فى مصطفى أمين

وعندما انضم إلى أسرة أخبار اليوم رسام يعمل مع على أمين لأول مرة . لم يكن يعرف أن شخطات على أمين ـ من أجل الأكمل والأجمل ـ كلها فشنك فى فشنك . ولابد أن تعقبها ابتسامة طفولية ولا كأن حاجة حصلت . فلما عرض الرسام رسم وتوضيب قصة العدد على على أمين ، أعجبه الرسم ولكنه اعترض على طبع جزء من كلام القصة فوق جزء من أرضية الرسم الزرقاء ، لأن الحروف عادة لا تظهر فوق اللون بوضوح مما يتعب نظر القارىء . لكن الرسام بدأ يناقش على أمين فى مبدأ هام من المبادىء التى أرساها على أمين فى توضيب المجلات ، فصاح فى الرسام : ده توضيب . عصر أفندينا .. اسمع أنا أجيب أبوزيد يرسم بدالك !

ووجدت الرسام ينتظرنى فى مكتبى ليخبرنى أن على أمين طلب أن يرسم أبوزيد رسوم القصة ، فلما أفهمته أن أبوزيد هذا هو بواب أخبار اليوم وليس رساما فى الدار كما يظن ، غضب الرسام الشاب وذهب يشكو على أمين إلى مصطفى أمين ، فقال له مصطفى أمين :

— ما تزعلش ، تتصور ان على أمين لسه شاخط فى حالا وقاللى أنا أجيب أبوزيد اعمله توأم بدالك ..

واصطحب مصطفى أمين الرسام الى مكتب على أمين . وما أن راه بالباب حتى نهض من مكتبه واتجه نحوه يصالحه ويطبطب عليه . وبينما كان على أمين يدعو الرسام على واحد ليمون يروق دمه من حكاية ابوزيد اللى بيرسم أحسن منه . استدعانى ليرى صورة الغلاف التى اخترتها للعدد الجديد . فنظر إلى الصورة وقد لاح عليه الغضب ثم أقبل نحوى يندد بذوقى المتخلف فى اختيار صورة الغلاف . وانخلع قلب الرسام الشاب . فوضع كوب الليمون وهرب من المكتب لأنه غير متمرس على هذه المواقف الفشنكية . بينما أمسك على أمين بالصورة مؤكدا أن صاحبة هذه الصورة هربانة من التجنيد وأن ابوزيد البواب أجمل منها . ثم اصدر قراره قائلا : شيلها من على الغلاف وحط صورة ابوزيد بدلها !

السوبرمان فى السينما

هكذا تعاظم شأن السوبرمان الأبوزيدى فاكتمل له الجمال بعد الكمال بقرار من على أمين ! ولم يكن يدهشنا ان ابوزيد كان يبدى رايه فيما - لا يعجبه من كتاباتنا - وهو يمط شفتيه فى قرف شديد . بل كان يدهشنا حقا انه كان يستوقف على أمين نفسه - صاحب الدار - عند البوابة ليعبر له عن رايه فيما يكتبه . أحيانا بالاعجاب وحينا بالنقد . وكان يحيرنا فعلا أن على أمين كان ينصت اليه باهتمام إذا انتقد . وذلك رغم الألفاظ الدبش التى يستعملها ابوزيد وكان شيئا له العجب أن يتحلى على أمين بالهدوء الشديد وهو يحاول أن يتفهم وجهة نظر ابوزيد . وقد عزونا هدوء على أمين الى انه ليس هناك ابوزيد آخر يهدد به ابوزيد بعبارته المأثورة : انا أجيب ابوزيد يقف فى البوابة بدالك !

لكننا ذات يوم عرفنا السبب . فقد اقترح على أمين على أنيس منصور أن يصحب معه ابوزيد الى السينما . وأن يسجل تعليقات ابوزيد على فيلم « بنات اليوم » وفيلم « لواحظ » . وعرفنا أن على أمين ينظر إلى ابوزيد باعتباره « رجل الشارع » الذى من حقه أن نستمع إلى وجهة نظره فى صحافة وسينما وإذاعة بلاده . وبالفعل . جاءت التعليقات التى سجلها أنيس بلسان ابوزيد ذكية ورائعة وملاحة . تعكس ما فى أعماق الانسان المصرى البسيط من حضارة لسبعة آلاف سنة .

الواد الحليوة

ثم حدث ما جعل على أمين يكف عن تهديدى بابوزيد أو على الأصح يقلل من حدته . إذ أرسلت اليه مذكرة عن تأخر الأقسام الفنية فى أعداد غلاف العدد الجديد . ومع المذكرة صورة الغلاف الملونة من تصوير أحمد يوسف . ونظر على أمين إلى صورة الغلاف . فإذا بها صورة ابوزيد وعليها تعليق : ابوزيد معبود النساء . إقرأ ص ٢٦ !

وضحك على أمين واعتبرها نكتة . ورفع سماعة التليفون ليتصل بى . لكننى كنت فى مكتب آخر اتصل بعلى أمين منتحلا شخصية رئيس الأقسام الفنية ومقلدا صوته . وقلت لعلى أمين : أحمد رجب كتب فينا مذكرة وده غير صحيح يا فندم لأن غلاف ابوزيد جاهز !

وسمعت صوت قذيفة رهيبة هى هبدة يد على أمين فوق المكتب متسائلا فى استنكار : غلاف مين ؟؟ فأكدت له بهدوء انه غلاف ابوزيد وأن أحمد رجب قال ان على امين لم تعجبه صورة فتاة الغلاف وأمر بوضع صورة ابوزيد على الغلاف .

وتوالت قذائف على أمين فوق المكتب وصوته يهدد معلنا لرئيس الأقسام الفنية - الذى هو انا - انه سيودعه مع أحمد رجب مستشفى الأمراض العقلية . فعدت أقول ببرود شديد وهدوء أشد انه ليس هناك أى وقت لعمل غلاف جديد .. ويمشى المرة دى يافندم غلاف ابوزيد .. والله يافندم ابوزيد طالع شكله لطيف وحلو ولا روبرت تايلور .

عند هذا الحد سمعت على أمين يضع السماعة بعنف . وبعد قليل علمت انه يقتحم الأقسام الفنية بحثا عن رئيسها المجنون . فأسرعت أغادر الدار الى بيت على امين . إذ كنت مدعوا على الغداء معه !

مرفـــود × ١٠٠ مرة !

وعلى مائدة الغداء انذرنى على أمين بانه سوف يفصلنى من العمل فى الساعة السادسة والنصف مساء اليوم ! فإن أحد أصدقائه الحميمين من الأدباء القدامى كان قد كتب مقالا فى ٢٥ صفحة فولسكاب . وأعطانى على امين المقالة وطلب منى ان اختصرها فى خمس ورقات . فعلى أمين لا يستطيع أن يدوس الفن الصحفى الذى علمه لنا : « احترم وقت القارىء . اكتب باختصار وتركيز . لا وقت عند القارىء للت والعجن . هناك ادوات حضارية تنافسك كالراديو مثلا فكن على مستوى المنافسة عندما تكتب . اكتب باختصار وكانك تكتب برقية ستدفع عن كل كلمة فيها قرشا » .

وكما لا يستطيع على أمين أن يدوس الفن الصحفى من أجل صديقه . فهو لا يستطيع ايضا أن يغضب صديقه الذى يعيش فى تقاليد الصحافة القديمة عندما كان يحتل مقال الكاتب صفحة كاملة فى الجريدة ! .. لهذا عندما اتصل به صديقه بعد النشر معاتبا غاضبا على نشر المقال مختصرا . وعده على امين بإجراء تحقيق لمعرفة الفاعل المجرم ! وعادة فى مثل هذه الأحوال يسفر التحقيق - الذى لا يحدث ابدا طبعا - عن اننى الفاعل الأوحد !

فلقد نشر كاتب معروف مقالا بغير توقيعه . فاستدعانى على أمين أمام الضيف الذى جاء يحتج على المقال . وقال لى : انت مرفود !

ونشر خبرفى جريدة أخبار اليوم التى لم أعمل بها أبدا ، فاستدعانى على أمين وقال لى أمام ضيفه الجالس : انت مرفود !

وذات مرة استدعانى فجاة لأجد عنده ضيفا ضخم الجثة واضح جدا انه مصارع ، وطلب منى على أمين أن أكتب تكذيبا للخبر الذى لا أعرف عنه شيئا والذى أنا برىء منه بطبيعة الحال . واذا بالضيف يحتد على فجاة ويصبح على وشك استعمال عضلاته . فنهره على أمين بأدب وأنهى المشكلة بفصلى من العمل وبدون مكافاة !

المهم اننى بعد ذلك لمحت هذا الضيف المارد فى أحد الأندية مرتديا بدلة التدريب . وما ان لمحنى من بعيد حتى استشعرت الخطر الرهيب فجريت خارجا من النادى وظللت أعدو حتى تقطعت انفاسى ولم ينقذنى إلا القفز إلى أحد الأتوبيسات !

ولقد تكرر رفدى بعد ذلك عشرات المرات . واليوم سافصل فى الساعة السادسة والنصف مساء !

لكننى - يومها بالذات - اشترطت على على أمين أن أمثل دور المفصول بشرط أن يعطينى الأمل - مجرد الأمل - فى انه سيمنحنى أجازة ولو لبضعة أيام ، فإننى لم أحصل على يوم واحد أجازة من سنتين وأعمل معه ١٨ ساعة فى اليوم حتى « انهديت » ، ولم تعد طاقتى - وأنا فى الخامسة والعشرين - تستطيع اللحاق بطاقته الخرافية فى العمل ! كنت بعد أن انتهى من عملى فى المجلة أعمل معه فى مشروعات التجديدات الصحفية التى لا تنتهى . وكان يفرد الماكيتات امامه ويندمج فى العمل لدرجة أن جرس التليفون رن بجواره مرة ، فقال وهو منهمك فى العمل دون أن يرفع سماعة التليفون .. آلو .. مين ؟؟

ثم قلبهـــا جـــد !

وجاء صديقه الحميم فى السادسة والنصف ، واستدعانى على أمين ، واشتغلت القذائف أو ضربات يده على المكتب : كيف أجرؤ وأختصر المقالة ؟ كيف اتطاول وأجرى بقلمى فيها شطبا وحذفا . ثم هبد يده الهبدة الختامية مع العبارة المأثورة : انت مرفود !

وفوجىء صديقه الأديب ، وراح يرجو على أمين فى تخفيف العقوبة وبلاش قطع العيش ، ولكن على أمين صمم ، وانصرف الرجل وهو مستاء من هذه المصيبة التى حطت على دماغى . والمهم انه بعد انصراف الرجل سالنى على أمين : انت اختصرت مقالته فى كام ورقة ؟ قلت له : سبع ورقات ، وهنا ثار بحق وحقيق ضاربا المكتب بيده : لكن أنا قلت فى خمس ورقات .. انا أجيب أبوزيد يختصر بدالك !

البشـــرى العظيمـــة !

ثم جاء على أمين يزف الى بشرى سعيدة . فعلا انا مرهق ولابد ان استمتع بحياتى . لقد أعد لى مفاجاة وسوف يمتعنى بحياتى فعلا !

وانجلت المفاجاة السعيدة على انه اصطحبنى الى النادى الأهلى لنتغدى ثم فسحنى على النيل من كوبرى الجلاء الى كوبرى عباس الى كوبرى الملك الصالح وبالعكس ، وبقى أن تعرف أن الجو يومها كان خماسينيا اصفر رسيب التراب !

وانتقاما من على أمين كتبت فى مجلة « أخبار الدار » التى كانت تصدر داخل الدار مقالا بعنوان : « على أمين متعنى بالحياة » وقلت فيه :

« قلت لعلى أمين : أقترح أن نعود الى الدار فالجو خماسينى ..

فرد على أمين : ألا ترى زرقة السماء الصافية ؟

قلت له : بذمتك شايفها كده ؟

قال : طبعا ..

قلت له : طيب نتمتع بالحياة فى يوم غير ده .

قال على أمين : الا تحس بنسمة الربيع الباردة الحلوة ؟

قلت له : فين دى ؟

قال : الا تشم عبير الجو الربيعى الساحر ؟

قلت له : انا لا اشم إلا ترابا أصفر .

قال على أمين : مسكين . انت بائس لأنك لا ترى حلاوة الدنيا ؟

ثم رفع على أمين رأسه الى السماء وقال :

يارب ! امنحه القدرة على أن يرى حلاوة الدنيا ! ارفع من على عينيه نظارة الخماسين الصفراء وضع بدلا منها نظارة الربيع الزرقاء !

يارب : أصبه بزكام حتى لا يشم ما فى الجو من تراب ، واجعله يتخيل أن مناخيره مزروعة بزهور الكريزانتيم والجلاديول والورد والريحان حتى يحس بحلاوة الدنيا فى الربيع !

يارب : ارفع درجة حرارته الى أربعين وشرطتين حتى يرتعش ويشعر أن هذا الهواء الخماسينى الساخن هو نسمات الربيع المنعشة ! إملأ قلبه بالتسامح مع الطبيعة حتى يتصور أن هذا التراب الذى يملأ فمه هو سكر بودرة . يارب : هذا دعائى لك من أجل عبدك البائس أحمد رجب الذى لا يرى حلاوة الدنيا فى الخماسين ! ..

● ● ●

الغـرفـة ٥٣ !

●● قضيت نصف عمرى فى الغرفة رقم ٥٣ بمبنى أخبار اليوم ! والغرفة ٥٣ غرفة تاريخية . فاول من اتخذها مكتبا هو توفيق الحكيم . ثم كامل الشناوى . ثم جلال الحمامصى . ثم موسى صبرى . ثم انيس منصور . ثم سعيد سنبل . ثم كاتب هذه السطور !

وقد اشتهرت هذه الغرفة بان من يقيم فيها لابد ان يغادر دار أخبار اليوم . إما للعمل الصحفى فى دار صحفية أخرى أو إلى بيته ليستريح فى أجازة مفتوحة . وكان تعبير أجازة مفتوحة فى تلك الايام هو اسم الدلع للفصل من العمل .

فقد ترك توفيق الحكيم الغرفة ليعمل مديرا لدار الكتب وخرج منها جلال الحمامصى ليؤسس وكالة انباء الشرق الأوسط وغادرها كامل الشناوى ليراس تحرير الجمهورية . وجلس فيها موسى صبرى فتم منعه من الكتابة مع أجازة مفتوحة . ثم صدرت الأوامر بنقله الى الجمهورية بشرط الا يظهر اسمه . ثم دخل انيس منصور الغرفة ٥٣ وخرج منها فى أجازة مفتوحة ايضا . والأجازة المفتوحة ـ كما عرفناها يومئذ ـ كانت بلا مرتب او معاش او مكافاة وذلك طبقا للأوامر الصارمة الصادرة من السلطات العليا فكان مصطفى أمين يدفع سرا مرتب صاحب الأجازة من جيبه الخاص حتى بعد تاميم أخبار اليوم !

وجاء الدور على سعيد سنبل ليدخل الغرفة رقم ٥٣ . ورفض بشدة فى البداية . ولكن على أمين الذى اشتهر بالقدرة على أن يعدى كل من حوله بالتفاؤل استطاع أن يقنع سعيد بالاقامة فيها . فدخل يتفحصها كانما يريد أن يستجلى سرها . وهداه تفكيره الى أن يغير وضع المكتب فنقله من الحائط الشرقى المواجه للباب إلى الحائط الغربى المجاور للباب لعل ذلك يكسر نحس الغرفة !

وبقى سعيد سنبل فى أخبار اليوم .

وفى منتصف الستينات جاء دورى لاقيم فى الغرفة ٥٣ .

ورغم معرفتى بتاريخ الغرفة إلا ان عملى الدائم مع على أمين علمنى التفاؤل . بل لقد وصل تفاؤلى الى اننى قررت إعادة المكتب إلى الوضع القديم . وجاء عمال الكهرباء والتليفونات ونقلوا الأسلاك من الحائط الغربى إلى الحائط الشرقى كما كان !

ومر يومان . وذهبت لأقبض مرتبى فلم أجد اسمى فى كشف المرتبات . وسألت صراف الخزانة عن السبب فمط شفتيه علامة انه لا يعلم . وهز مدير الحسابات كتفيه علامة انه لا يدرى . وحرك موظف المستخدمين كفيه يمنة ويسرة علامة انه

لا يفهم . وكان حديث الثلاثة بالاشارة معى دليلا على ان بركة الغرفة ٥٣ قد حلت على راسى . وأننى أصبحت من المغضوب عليهم . وأن الكلام معى باللسان مكروه شرعا !

وبدأت أبحث عن حكام أخبار اليوم فى ذلك الزمان ولم أجد الضابط الصغير الذى فوضه الضابط الكبير فى حكم أخبار اليوم نيابة عنه بوصفه سكرتيره . وبحثت عن الصول سكرتير الضابط الصغير الذى يتولى تصريف الأمور نيابة عنه فهو غير موجود أيضا . وبحثت عن الشاويش ضرغام سكرتير حضرة الصول الذى يحكم فى غيابه فقيل انه يضىء اللمبة الحمراء . وبحثت عن العسكرى أبواليزيد سكرتير الشاويش ضرغام فقالوا لى انه فى صالة تحرير الأخبار يراجع المانشتات التى كتبها مصطفى امين !

وإيمانا بنظرية سعيد سنبل . بدأت أغير من وضع المكتب لتكون النافذة من خلفى . وما أن استقر المكتب فى وضعه الجديد حتى دق جرس التليفون ليبلغونى أن اسمى سقط سهوا من كشف المرتبات وعاد موظفو الادارة يتحدثون معى باللسان بدلا من لغة الاشارة علامة أنى غير مغضوب عليه والحمدلله .

وبقيت فى الغرفة ٥٣ . وظل أول ساكن للغرفة توفيق الحكيم يذكرنى فى كل كتاب جديد يهديه الى اننى أجلس فى غرفته « العزيزة » كما كان يصفها دائما . كانما يطلب أن أصونها وأحرص عليها . وكانت آخر الكتب التى تلقيتها من عملاق الفن والفكر كتاب « يقظة الفكر » الذى يقول فى مقدمته « لا أريد من كتابى أن يريح القارىء . أريد أن يطوى القارىء كتابى فتبدأ متاعبه أن مهمتى هى تحريك الرؤوس » .

وقد حرك توفيق الحكيم راسى وأنا أحملق فى أجواء الغرفة ٥٣ وأتساءل : كيف لم أحظ من هذه الغرفة بإشعاعات الفكر والفن التى تركها توفيق الحكيم فى هذا المكان فافكر مثله وأبدع مثله ؟

وتبين لى أن السبب هو اننى غيرت موضع مكتبى من الغرفة حيث كان يجلس توفيق الحكيم ونقلته الى الجانب الآخر حيث كان مربط حمار الحكيم .

●●●

التميمـــة

فى فترينة زجاجية ببيت احد الاصدقاء وجدت ثوبا نسائيا فى حجم أصبع اليد - منياتور - موضوعا على مانيكان خشبى بنفس الحجم !

ولا أعرف لماذا استهوانى هذا الثوب الحريرى ، ولا أعرف ايضا لماذا تفضلت باخذه فورا عندما قال لى الصديق : تفضل !

ومنذ أن استقر هذا الفستان فى جيبى تغيرت حياتى تماما : أعطانى مصطفى أمين علاوة ضخمة ، وأصبح على أمين يسخو على بالمكافآت كلما أعجبه عدد من مجلة « الجيل » وبالصدفة، أصبح كل عدد يعجبه جدا وهو الذى كان لا يعجبه إلا الكمال - والكمال لله وحده .

ولم انتبه فى البداية لهذا الدور الذى يلعبه ذلك الثوب النسائى حتى انهالت العقود السينمائية لكتابة السيناريو والحوار وانهالت معها الفلوس ، وصدر لى أول كتاب - وكان من سلسلة كتاب اليوم - حقق أرقاما ضخمة فى التوزيع افزعت مدير عام المؤسسة الذى أراد « استكرادى » فوقع معى عقدا بان يكون أجرى حسب النسخ التى يتم توزيعها وليس أجرا قطعيا كما يعامل بقية المؤلفين !

وعلى المستوى العاطفى ، كفت الفتاة التى كنت أحبها عن الخناقات والغيرة والهجر والخصام وأصبحت ظريفة لطيفة مطيعة تقوم بدور العاشقة الولهانة وأقوم أنا بدور سى السيد !

وأصبح الثوب النسائى الحريرى - الذى لا أعرف سره العجيب - يحتل مكانا أمينا فى محفظتى ، واطمئن كل ساعة على وجوده !

وشكت لى مرة سعاد حسنى أن بعض المنتجين لا يدفع بقية أجرها عن افلام انتهت منها ، وحدثتها عن الثوب النسائى الذى أحمله وعن سره البانع ، وبمنتهى الشهامة أعرته لها لمدة يومين ، فطرق المنتجون بابها - وكأنهم على اتفاق - ليدفعوا لها بقايا أجورها !

وحدثنى عبدالحليم حافظ فى التلفون : سلفنى الفستان ، الزغنن ، اللى معاك ، عايزه ضرورى ، وغاب الثوب النسائى ثلاثة ايام عند حليم ثم طلب أن يكون معه ثلاثة أيام أخرى ، وجاء بعدها عبدالحليم ليحتضنى ويقبلنى شاكرا ممتنا والسعادة ترقص فوق ملامحه !

ولا أعرف للآن ماذا فعل الثوب النسائى لحليم !

وسمع المنتج حلمى رفلة بخبر الفستان المعجزة والح فى طلبه لانه مدين فى السوق ويود أن يسدد ديونه . وبقى الفستان مع حلمى رفلة اسبوعا ، وكان هذا الاسبوع كافيا لتسديد ديونه !

واعرته لصديق عزيز كان يمر بازمة نفسية وما ان حمل الثوب حتى صدر فى اليوم الثالث ما فك ازمته : تعيينه رئيسا لهيئة كبرى !

واستعارته منى صديقة عزيزة ولم اكن أعرف انها تريد أن يكون هذا الفستان العجيب معها فى اميركا حيث قررت الهجرة الى هناك .

وهكذا فقدت التميمة الساحرة ، وتبدل - بعد فقدها - حالى : أصبح على أمين يقلب كل عدد جديد من المجلة وهو يصيح غاضبا : انا أجيب أبوزيد البواب يطلع المجلة بدالك !

وجف نهر الفلوس ، وادبرت الدنيا بعد اقبال !

ولأول مرة بدات اتفاءل واتشاءم بالأشياء : قلم حبر ، كرافتة معينة ، حذاء محدد ، وذات يوم شعرت ببرودة شديدة تسرى فى ساقى اليمنى لأكتشف أن الحذاء الذى اتفاءل به أصبح له ثقب فى حجم المئة فلس !

والتفاؤل والتشاؤم أو التطير من النزعات الفطرية التى تسيطر على الأفراد والجماعات وقد أوحى إلينا الأوربيون مثلا بالتشاؤم من رقم ١٣ بينما لم ننجح نحن فى ان نوحى إليهم بان البومة طائر كريه لانهم يتفاءلون بالبومة ويعتبرونها رمز الحكمة ، وفى بعض جزر الباسيفيك يعتبرون ظهور قوس قزح كارثة كبرى ويرى الانجليز أن القط الأسود يجلب الحظ ، ويعتقد بعض الناس انه اذا رأى هلال اول الشهر العربى من الجانب الأيمن فالمولود سيكون عظيم الذكاء ، وإذا راه من الجانب الأيسر فالمولود سيكون مؤلف مسلسلات !

• • •

الأصـــل والصـــورة

من سنين ، استقبلونى بترحاب فى أحد المطارات العربية ، واندهشت بشدة لهذه الأهمية التى احاطونى بها منذ اللحظة التى أمسك فيها الضابط بجواز سفرى ، ولم تطل دهشتى ، فقد صحبونى الى غرفة بالمطار ، واتضح - دون أن أدرى - أن اسمى كرابيت كركوريان واننى عميل اسرائيلى أتقن التنكر وتغيير مظهرى وجوازات سفرى ، واخر تغيير حدث لى هو اننى غيرت لون شعرى الكستنائى وازلت شواربى !

وصحيح ان اثبات شخصيتى استغرق بعض الوقت ، لكنه طال وكانه دهر ، وتلمست العذر حقا لرجال الأمن فى المطار عندما ابرزوا لى صورة كرابيت كركويان - أو جرجوريان لا اذكر - فقد ذهلت وانا اراه يكاد يكون توأما لى ، وسبحان الذى يخلق من الشبه اربعين !

وبسبب هذا الحادث شعرت بانزعاج عندما نشرت إحدى المجلات العربية صورة ضمن كتاب اخرين وكتبت تحتها اسمى ، ولم تكن الصورة لى ، بل لرجل حاد الملامح قاسى العينين معقوف الأنف وفى صفحة تالية وجدت صورتى منشورة مع تحقيق عن رجال المافيا وتحت صورتى كتبوا : جياكومو منجوزى رجل المافيا القوى .

وعادت المجلة العربية تنشر تحقيقا عن الذين يقومون بتحرير باب البحث فى الصحف فنشرت حديثى ومعه صورة رجل المافيا جياكومو منجوزى ومكتوب تحتها اسمى !

وحاول مكتب القاهرة تصحيح هذا الخطأ فنشرت المجلة اعتذارا اوضحت فيه أن لبسا قد حدث وأن هذه هى صورة الأستاذ فلان الفلانى وكانت الصورة لجياكومو منجوزى بينما كتبت تحت صورتى اسم جياكومى منجوزى !

واتصلت بمركز المجلة فى بيروت أستغيث من أن الاصرار على نشر صورتى باعتبارى جياكومو منجوزى سوف يسبب لى متاعب فى المطارات وقد يعرضنى للمطاردة بالمدافع الرشاشة ، فوعدنى مدير التحرير بتدمير كل كليشيهات وافلام جياكومو منجوزى ، فمزق ودمر كليشيهات صورتى أنا وابقى صورة منجوزى مكتوبا تحتها اسمى !

ومقالب الصور لا تنتهى !

زمان كانت تصدر فى القاهرة مجلة فكاهية اسمها البعكوكة ، وكان الشربينى أفندى لا يغفر لأى تلميذ يضبطه متلبسا بحيازة البعكوكة ، فما أن يقع هذا التلميذ بين يديه حتى ينهال عليه بالقول : ياسوقى .. ياحثالة يافسل .. ياارذل من خنيزع ويا أحمق من هبنقة ، وما أن ينتهى من هذا الموشح حتى يأمر التلميذ بأن يقلب ظهر يده - فى عز البرد - ليتلقى عشرين مسطرة عقابا على حيازة البعكوكة .

ومن صور للشربينى أفندى فى رحلة مدرسية قصصنا صورة لوجهه وأرسلناها الى مجلة البعكوكة وظهرت الصورة فى صفحة مليئة بصور القراء وتحت الصورة الشربينى أفندى من أصدقاء البعكوكة وكانت مذبحة كبرى للفصل ولا مذبحة المماليك .

وفى الأربعينات كان هناك ممثل أشبهه تماما اسمه فرناندو لاماس ، فكنت اشترى عشرين صورة له من الحجم الصغير واستخدمها فى بطاقات الكلية واشتراك المواصلات وما إلى ذلك وكانت العشرين صورة بقرش بينما الذهاب للمصور يكلف عشرة قروش ، فسعدت كثيرا بهذا الممثل الذى كان يتيح لى أن اصرف الميزانية المخصصة للتصوير الفوتوغرافى فى الذهاب الى السينما ، وظللت استخدم صوره لسنوات الى أن دق باب البيت طارق يقول : بوليس ..

— لماذا كفى الله الشر ..

— مطلوب للنيابة ..

ووقفت أمام وكيل النيابة متهما بالتزوير فى أوراق رسمية إذ قدمت طلبا الى جهة حكومية مرفق به صورتى .

قال لى وكيل النيابة : هل هذه صورتك ؟

— طبعا صورتى ..

قال وكيل النيابة : مطبوع خلفها بالانجليزية فرناندو لاماس نجم مترو جولد وين ماير .. فهل تصر على اقوالك ؟

وحكيت الحكاية لوكيل النيابة .

وأصبح وكيل النيابة الذى حقق معى من أعز الأصدقاء وهو المستشار ناصر مرسى السفير السابق بالخارجية !

● ● ●

التطـور العظيـم !

كنت من أكبر مشجعى نادى الزمالك . ثم حدث ما جعلنى - فى ذلك الزمان البعيد - أكف عن هذا « النزملك » . إذ تعرض النادى لسلسلة من الهزائم المشينة على يد أندية صغيرة مثل نادى فابريكة المكرونة ونادى شركة الدباغة . الأمر الذى كاد يصيبنى بكافة أمراض الدم والأعصاب . وقد حدث أيامها أن أمسك المارة بشاب بجوار نادى الزمالك وظلوا يضربونه وهو يستغيث ثم توقفوا عن ضربه وأطلقوا سراحه عندما أقسم لهم أنه نشال وليس لاعبا فى الزمالك .

ثم جاءنى الأصدقاء الزمالكاوية لأعود الى حظيرة الزمالك مشجعا فبرقت فى راسى فكرة جديرة بالتنفيذ لماذا لا أساوم كما يفعل بعض اللاعبين بناديهم ؟ لماذا لا يدفع لى الزمالك مبلغا محترما حتى لا أنتقل الى ناد آخر أشجعه ؟ لقد حان الحين ليحصل كل مشجع على حقوقه . فالمشجع يعد من أهم أطراف اللعبة وأبخسهم حظا ورزقا . ثم انه معرض - أثناء المباريات - للاصابة بكافة الأمراض ابتداء من الضغط والسكر إلى الانهيار العصبى والسكتة القلبية ولابد أن يكفل له اتحاد الكرة حقوقه فيحصل على استغناء من ناديه مع دفع خلو رجل للنادى الجديد الذى عليه أن يتكفل بسداد جميع ديون المشجع وتوفير شقة متواضعة له على النيل وسيارة صغيرة مرسيدس ومعاملته معاملة اللاعب فى المكافآت والأجور . فمن المدهش حقا أن المشجع يتحمل التزامات مالية باهظة دون مقابل . فهو يشترى المواد الضرورية لحضور المباريات الحساسة مثل الطوب والحجارة والزلط . كما انه يضحى بالكثير من ماله الخاص فلا يفكر فى استعادة رهن الزجاجات الفارغة المتجهة الى دماغ حكم المباراة .

مثل هذا المشروع - كفالة حقوق المشجع - كان يمكن أن ينصف تلك الفئة البائسة التى تظل تعوى فى الملاعب وفاء وحبا فى النادى ولاعبيه . غير اننى لم أجد أى حماسة من الزملاء المشجعين فاستقر رايى على عدم تشجيع أى ناد والاكتفاء بالتعاطف مع المنتخب القومى . إلى أن وصل المنتخب الى نهائيات كاس العالم فعدت امارس التشجيع . غير أن الفريق القومى بدا يهز اعصابى فهو يوم فى العالى ويوم فى النازل ولا مستوى ولا مقياس . وكثيرا ما ساءلت نفسى وانا ارقب لعب الفريق القومى : هل تطورت الكرة عندنا عن زمان ؟ ؟

واكتشفت أن التطور الوحيد الذى حدث هو أن أسماء اللاعبين أصبحت قابلة للنشر إذ كانت أسماؤهم زمان من عينة السكران والعضاض ولوفا وخيشة وابوجلمبو .

وفى الرعيل الأول لكرة القدم كان اطلاق اسم على اللاعب يتم لسبب وجيه . فمختار التتش مثلا أطلق عليه المدرب الانجليزى هذا الاسم لأنه كان ضئيل الجسم يقفز برشاقة مثل كرة مطاطية . واطلقوا على محمد حسن حلمى اسم زامورا عندما سدد الكرة فى شبكة أشهر حارس مرمى وقتئذ وهو الأسبانى زامورا . وتقليدا لحلمى والتتش . بدا كل لاعب يبحث عن اسم غريب لأن الأسماء الجميلة . لا تصلح للملاعب . وفى الخمسينات مثلا عرضوا على أحد اللاعبين هذه الأسماء الأهتم - فلاية - الجربوع - الابوظبا - جعيصر - الرفاس - طريشة - غير ان اللاعب رأى أن كل هذه الأسماء لطيفة وشيك وانتهى به الأمر الى أن يسمى نفسه كاللو ..

• • •

فى مسـألة الغلـط !

إذا رأيت غلطة مطبعية فى بعض ما أكتب أتذكر ما كنت أعانيه عندما كنت مسئولا عن الأخطاء المطبعية . فقد اعتاد مصطفى أمين أن يقلب صفحات النسخ الأولى الصادرة من المجلة وعلى الفور تقع عينه على الغلطة المطبعية وسط مئات السطور . كيف ؟ لا أعرف غير أن المرة التى لا أنساها هى عندما أشار مصطفى أمين الى سطور وهو يتساءل : ما هذا ؟ وقرات سطرا يقول : ورئيس الوزراء يفضل رياضة المشى فى ساعة الأصيل ويكره تقشير البطاطس .

وأسرعت الى المطبعة لأصحح هذا الخطأ الذى سوف يتسبب بالتأكيد فى أن أقشر أنا البطاطس بعد اعطائى اجازة مفتوحة بلا مرتب . وكانت الأجازة المفتوحة هى الموضة فى تلك الأيام .

وفى العدد التالى من مجلة الجيل أمسكت بماكيت المجلة وفتشت سطورها بعناية حتى لا يقشر وزير بطاطس أو يخرط ملوخية . وزيادة فى الاحتياط رأيت أن أعرض الماكيت على مصطفى أمين الذى قلب صفحات أخبار الاسبوع السياسية . ليسالنى بعد لحظة : ما هذا ؟ وأشار إلى سطور تقول : وقال داج همر شولد أن المحادثات كانت ودية بين الجانبين وأعلن أنه يكره تقشير البطاطس .

ما الحكاية ؟ ومن أين تأتى هذه البطاطس ؟؟

أسرعت أتصل بالمصحح لأساله : ياسيدى كيف تترك هذا السطر الذى يعلن فيه همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة انه يكره تقشير البطاطس . فوعدنى

بتصحيحه فورا ، وطلبت بروفة جديدة للمراجعة لاجد ان المصحح قد وفى بوعده وصحح العبارة كالآتى : وأعلن داج همر شولد انه لا يكره تقشير البطاطس .

والأخطاء المطبعية درجات . فهناك الغلطة الفادحة وهناك الخطأ البسيط الذى يمكنك من إدراك المعنى مع سياق الكلام ، وعندما تصبح هذه الأغلاط فى العناوين الرئيسية فهى لا تغتفر ، لان العنوان الرئيسى او المانشيت لا يمكن ان تخطئه العين فى بروفات الصحيفة ومع ذلك فقد ظهر فى احدى صحف ولاية بنسلفانيا الاميركية هذا المانشيت العريض : « مساجين يهربون من السجن بعد اعدامهم » .

وفى صحيفة لانسينج ستيت جورنال ظهر هذا المانشيت العريض « اتخاذ الاجراءات فى الولاية لاعدام جميع المواطنين فوق ١٧ سنة » وفى جريدة تكساس : ضباط نبراسكا أحسن لصوص بنوك » وفى جريدة جالفستون بتنيسى « كلب فى الفراش يطلب الطلاق » وفى صحيفة نورث فورت ورث نيوز سقطت كلمة « ثور » من العنوان فأصبح كالتالى مستر فلان يمتلك أكبر قرون فى تكساس .

أما عن الأخطاء بين السطور ، فقد جاء فى جريدة بوسطن بوست : وبعد حفل الزفاف ودعت العروس عريسها لتقضى شهر العسل ، وفى صحيفة تيبتونفيل بتنيسى : يجتمع نادى الحدائق فى الثانية والنصف يوم الأربعاء القادم للمحافظة على السراويل الداخلية !

وفى صحيفة فوكس فيل بتنيسى : وفى حفل الزفاف عزفت اوركسترا الكنيسة للعروسين نشيد الآن بدأت الحرب . ومن الأخطاء المطبعية فى الاعلانات : سوف تحب هذا النوع من البوربون عندما تشربه ، ثم اتصل برقم ٢١٧٠٠ حانوتى هينس .

وهذا الاعلان : اطلب محلات ويزرز لتحصل على فطيرة فاكهة صناعة منزلية من خشب الماهوجن المتين .

وفى صحافتنا نشر هذا الخبر عن ضيف يزور مصر : ثم انتقل سيادته إلى مثواه الأخير فى هيلتون .

وعندما كان المرحوم انطون الجميل رئيسا لتحرير الأهرام كتب هذه التاشيرة على نعى فى الوفيات : ينشر ان كان له مكان ، فظهر النعى فى الأهرام كالآتى : اسكنه الله فسيح جناته ان كان له مكان !

● ● ●

النشـــال !

●● قبل أن يمتد العمران الى شارع الصحافة ، كانت عشش الترجمان تحيط بدار أخبار اليوم ، وكانت عشش الترجمان هى مساكن القرداتية والنشالين الذين يغطى نشاطهم كل القاهرة !

وعرفنا من جيراننا عظماء النشالين الذين يسرقون الكحل من العين مثل : العقرب والشفاط وريشة وخلقة ربنا ـ اسمه كده ـ والبسه وسمبو ومنخر والنملة وتهتوهة !

وكان جيراننا فى منتهى الشهامة والحق يقال ، إذا نشل صديق او قريب لواحد منا فما عليه إلا أن يتوجه الى عميد النشالين ليدلى بالتفاصيل عن زمان النشل ومكانه ، وبعدها يستعيد المحفظة كاملة الفلوس ومعها أسف عميد النشل بعشش الترجمان !

ومضت السنون وازيلت عشش الترجمان من وسط القاهرة ونقل شاغلوها الى مساكن جديدة ولم يعودوا جيرانا لنا .

ودق موظف الاستقبال التليفون الداخلى فى مكتبى ليقول لى أن نشالا يطلب مقابلتى ، وخطر ببالى أن الزائر مادام لم يذكر اسمه وقدم نفسه بصفته نشالا فلابد انه واحد من جيراننا الأوائل : ريشة او نملة او العقرب جاء ـ فيه الخير ـ لزيارتى ، وتمنيت فى سرى الا يكون القادم هو تهتوهة إذ انه مصاب بلعثمة ينطق معها كلمة اززززيك فى ربع ساعة .

وقلت لموظف الاستقبال دون أن أسأله عن اسم النشال انى فى انتظاره .

غير أن الزائر كان وجها جديدا لا أعرفه ، قدم نفسه قائلا :

— محسوبك عبدالفضيل نشال محافظ وعندى ٣٩ سابقة .

— وطلباتك ؟

— جئت اتوب على يديك .

لابد انه قريب واحد من جيراننا القدامى وصف له الطريق الى مكتبى ، وقبل ان اسأله راح يستحلفنى وهو يحتضننى ويقبل اكتافى الا ارده خائبا ، ثم ما لبث ان اعتدل ليقول انه نشال شاطر لا يشق له غبار وانه يستطيع ان يستمر فى المهنة التى ياكل منها ، بقلاوة ، لكنه قرر ان يتوب على يدى بعد أن اكفل له عملا شريفا ، ثم قدم لى محفظتى التى نشلها من جيبى الداخلى ليثبت لى انه نشال ممتاز ولا يريد الحرام .

ولم يستغرق هذا كله ثوانى معدودات .

اخذت منه محفظتى ووضعتها فى جيبى ووجهى لا ينكر الدهشة من خفة يده ثم

سالته ماذا يتقن من أنواع الحرف فقال : النشل . انه لم يتعلم حرفة فى حياته - منذ الصغر إلا النشل .

واقتنع احساسى بعزم عبدالفضيل على التوبة دون مبرر منطقى فاتخذت كل الاجراءات الروتينية اللازمة لعودته الى الحياة الشريفة كرفع دعوى رد الاعتبار وما الى ذلك بوصفه من أصحاب السوابق العتاة . وما ان انتهت هذه الاجراءات حتى اتصلت تليفونيا بالمهندس عثمان احمد عثمان ورجوته ان يعين عبدالفضيل ساعيا او فراشا بـ « المقاولون العرب » ولم اقل له انه صاحب ٣٩ سابقة نشل بل قلت له ان ظروف حياته تقتضى سرعة إلحاقه بعمل . فاستجاب المهندس عثمان أحمد عثمان مشكورا وقال : ارسله فورا ..

بعد اسبوع سالت المهندس عثمان أحمد عثمان : ما أخبار عبدالفضيل . فقال لى : تمام .. بيبوس أيديك !

وكنت التقى بالمهندس عثمان أحمد عثمان فى مختلف المجتمعات فاساله عن عبدالفضيل ليقول : تمام .. بيبوس ايديك !

وفى كل مرة ادعو فى سرى الا يسود عبدالفضيل وجهى مع الرجل الذى كفل له عملا شريفا .

وجاءنى عبدالفضيل يقول أن ابنته قد أصيبت بشلل الأطفال فارسلته الى الدكتور أحمد خالد استاذ العلاج الطبيعى بكلية طب القاهرة الذى رفض مشكورا أن يتقاضى أجرا اعجابا بتوبة عبدالفضيل حتى تم شفاء البنت . وبلغت الأمانة بعبدالفضيل انه أعاد مائتى جنيه الى ادارة المقاولون العرب كانت صرفتها له لعلاج ابنته !

ثم جاءنى عبدالفضيل ذات مرة فى زيارة روتينية من زياراته لاساله : مبسوط ياعبدالفضيل فى شغلك ؟ وقال لى خبرا غريبا جعلنى اصرخ باعلى صوتى : يانهار اسود !

واسرعت اتصل بالمهندس عثمان أحمد عثمان .

ماذا جرى ؟

انى اترك المهندس عثمان أحمد عثمان يروى الحكاية فى كتابه « صفحات من تجربتى » فيقول عن عبدالفضيل فى صفحة ٥٥٥ :

« واصدرت قرار تعيينه . وعندما التقيت بالرجل حكى لى عن كل جوانب حياته بما لها وما عليها فاحسنت معاملته عندما عرفت ظروفه وتاب الى الله وادى فريضة الحج » .

ثم يقول المهندس عثمان أحمد عثمان : وكان ان اتصل بى أحمد رجب بعد فترة لكى ينبهنى الى ما له من سوابق .. وفوجىء باننى عرفت كل تفاصيل حياته .. ولكن المفاجاة الكبرى كانت لاحمد رجب عندما عرف ان هذا النشال اصبح أحد الأمناء على خزائن المقاولون يمسك بيده عشرات الالوف من الجنيهات !

● ● ●

جليل البندارى

■ كان جليل البندارى من أبرز الظرفاء فى ليالى القاهرة . وكان أكبر وأشهر صحفى فى الوسط الفنى ولطول لسانه قيل انه كان لا يغسل يديه قبل الأكل . بل يغسل لسانه . بينما أطلقت عليه تحية كاريوكا : جليل الأدب !

وكانت خفة الدم التى تمتزج دائما بطول لسانه هى التى تغفر له دائما كل شىء . وقد رأيت مرة - مثلا - فريد شوقى ثائرا هائجا فى بيت جلال معوض . يتوعد جليل بالقتل لأن لسانه طال عليه فى احدى المقالات . وقد تصورت أن وحش الشاشة سوف يفتك بجليل فتكا عندما يراه . ورحت أهدى من ثورته وعصبيته . وبعد قليل دخل جليل البندارى وانفجر فيه فريد شوقى ثائرا وإذا بلسان جليل كالمدفع الرشاش . واذا بوحش الشاشة الثائر يكاد يقع على الأرض من الضحك !

وبقدر ما كان لسان جليل حادا ورهيبا . كان بالغ الطيبة الى حد السذاجة . الأمر الذى كان يغرينا دائما بتدبير المقالب له .

ذات مرة سال جليل زميلنا توفيق بحرى عن الحبر الذى يستعمله . فقال بحرى انه حبر لا يباع إلا فى الصيدليات . فارسل جليل فى طلب الحبر من الصيدلية . واتبع تعليمات توفيق بحرى لملء القلم بالحبر فنقع مسحوق الحبر فى الماء وظل طويلا ينتظر تحول الماء إلى حبر كما قال له بحرى لكن الماء ظل على بياضه دون أن يعرف جليل أن المسحوق المنقوع فى الماء هو الكويكراوتس غذاء للأطفال ! وقال له بحرى أن الماء لن يصبح حبرا إلا داخل القلم . فملأ جليل قلمه الشيفرز الثمين بماء الكويكراوتس وباظ القلم !

وسالنى مرة جليل عن الحبر الأسود الذى استعمله وصدق جليل عندما قلت له : انت تعلم اننى عائد لتوى من بلغاريا وقد ملأت قلمى من البحر الأسود .

وفى أخريات أيامه كان جليل البندارى يهوى جلسات تحضير الأرواح . وكان يعهد بذلك الى رجل اسمه أبوالوفا . وكان أبوالوفا يقوم بتحضير الروح المطلوبة فتاتى روح أخرى تقوم بتكسير الأكواب والأطباق ثم يتضح انها روح هتلر . فقد كان أبوالوفا يتواطا معنا لعمل المقالب فى جليل .

ومرة أعلن أبوالوفا ان الروح حضرت وانها روح مستر تشرشل . وطلبت روح تشرشل حضور انيس عبيد - الذى يقوم بكتابة الترجمة على الأفلام - ليقوم بترجمة كلام تشرشل ! فلما اكتشف جليل تواطؤ ابوالوفا معنا لجا لمحضر ارواح اسمه الحاج طلبة . ليقوم بتحضير الست شوق البولاقية التى هام بها نابليون

بونابرت غراما خلال وجوده فى القاهرة ايام الحملة الفرنسية ، وكان جليل بصدد كتابة اوبريت غنائى يحكى غرام نابليون بفاتنة بولاق ورأى ان تحضير روحها سوف يمكنه من كتابة الأوبريت بتفاصيل تاريخية صحيحة .

ولأمر ما تغيب الوسيط فاختار الحاج طلبة وسيطا آخر وراح يجرى طقوسه فى الغرفة المعتمة ، وما لبث ان سرت همهمات غامضة قال بعدها الحاج طلبة : السلام عليكم وردت روح شوق البولاقية السلام وقدمت نفسها قائلة : انا شوق بنت عديلة وكانوا يدللونى باسم شواشى ، بينما كان نابليون يناديني شير ، شو » .

وقالت شوق البولاقية انها تعرفت بنابليون فى بيت مندور الكحكاوى وانه أعجب بها اعجابا شديدا ، وروت شواشى أو شوق تفاصيل كثيرة عن غرام نابليون بها وكيف أغراها بالسفر معه الى فرنسا وكيف بكى على كتفها عندما حطم نلسون الأسطول الفرنسى فى أبى قير وكان نابليون يقول فى بكائه : نلسون ابن الحرام كسر لى الأسطول يا شو ...

وقد صدمت شوق صدمة فظيعة عندما اكتشفت ان نابليون كان يريد ان يستولى على مصاغها خصوصا خلخالها الدهب .

وكان جليل يكتب كل هذه التفاصيل .. وبقى أن اقول اننى كنت الوسيط الذى قال كل هذا الكلام الفارغ ..

• • •

ينشـــر أو لا ينشـــر ؟

■ هل من حق الصحافة ان تنشر الأخبار الشخصية عن نجوم المجتمع ؟؟

إذا اختلف زوج مع زوجته خلافا حادا ثم تصالحا بعيدا عن الشرطة والنيابة لما شعر بهما احد ، إذ ليس من صفات الصحافة الفاضلة انتهاك حرمات البيوت ، اما اذا أشعل هذا الزوج النار فى باروكة زوجته وهى على راسها وضربت هى بالصوت الحيانى فاسرع ينزع الباروكة من راسها ليلقى بها فى منور العمارة واندلعت النار فى المنور ، فالأمر قد وصل بذلك الى النيابة والمحكمة واصبح الزوج والزوجة ـ سواء كانا شخصين عاديين او نجمين معروفين ـ خبرا فى صفحة الحوادث يهم كل سيدة عندها باروكة وكل رجل يريد ان يشعل النار فى باروكة زوجته او يتمنى ذلك .

واذا احتفلت الفنانة فتكات رمش العين باقترانها بالزوج الرابع عشر ثم تقدمت ابنتها الصغيرة تطلب الى العريس الجديد ان يوقع فى دفتر الزيارات الذى تحتفظ

به لمثل هذه المناسبات ، فإن نشر الخبر على هذه الصورة قد يحمل اساءة الى العروس ، كما يمكن تكذيب الخبر بسهولة اذا كانت الصحيفة تكذب وتزعم انه الزوج الرابع عشر مع انه الزوج الثانى عشر .

واحيانا يكثر الفنان فلان من الظهور مع الفنانة علانة ، ويقول فلان ان ليس بينه وبين علانة أى شىء غير الزمالة والود والاحترام ، وتقول علانة ان ليس بينها وبين فلان غير الزمالة والود والاحترام ثم يتزوجان بعد قصة الحب التى يعرفها الجميع وينفردان هما بنفيها ، ثم يصرح كل منهما بان ليس بينهما غير الزمالة والود والاحترام بعد الطلاق ..

والواقع أن الفنانين كثيرا ما يرحبون بالأخبار الشخصية من باب الدعاية لفيلم جديد أو من باب الدعاية عموما ، وهوليود هى التى ابتكرت فبركة الأخبار الشخصية ، وأجهزة الدعاية فيها هى التى فبركت خبرا تناقلته وكالات الأنباء عن روبرت متيشوم الذى تم ضبطه فى غرزة حشيش ، بل ان لكل نجم ونجمة هناك مدير أعمال يتولى فبركة الأخبار الشخصية وتسريبها الى الصحفى ، وقد سئلت احدى ممثلات الصف الثانى فى هوليود عن سبب طرد مدير أعمالها فقالت لأنه ضعيف الذاكرة ، إذ طلقنى من أزواجى سبع مرات بينما هو زوجنى خمس مرات فقط .

ومنذ سنوات زارنى ممثل معروف وقال لى انه قرر الانفصال عن صديقته الفنانة المعروفة وهو يريد سببا وجيها غير السبب الحقيقى للانفصال حتى يتخذ منه مادة للدعاية لفيلمه الجديد الذى تشاركه هى فيه البطولة .

وتهلل وجه الممثل المعروف وهو يستمع الى اقتراحى ، إذ اشرت اليه بان يقول ان سبب عدم اتمام الزواج هى بطاقة الدعوة لعقد قرانهما ، إذ اصرت هى ـ اسوة بإعلانات الأفلام ـ أن يكتب اسمها اولا بينما صمم هو على كتابة اسمه قبل اسمها .

• • •

.. على الرصيـــف !

■ هل صحيح ان الفنان لا يستطيع ان يبدع إلا فى برج عاجى ؟؟

توفيق الحكيم ـ الذى اشغل غرفة مكتبه باخبار اليوم ـ كان يكتب انتاجه العظيم فى تلك الغرفة التى تطل على خمس ورش حدادة ، واذا دارت المطبعة ـ أسفل الغرفة مباشرة ـ أصيب المكتب وكرسى المكتب والجالس فوق كرسى المكتب برعشة متواصلة ، وكان على أمين يكتب وسط أجراس التليفونات والداخلين والخارجين من المحررين ، فإذا اندمج فى الكتابة ودق جرس التليفون بجواره استمر فى الكتابة قائلا دون أن يرفع السماعة : الو .. انا على أمين !

ويستطيع مصطفى أمين أن يكتب وسط ضجيج مائة وابور زلط ومهما كان مكتبه يموج بالزوار والمتحدثين وموسى صبرى يغلق مكتبه بالمفتاح حتى لا يزعجه أحد مع أن غرفة مكتبه بالدور الأول تطل على ورش الحدادة الخمس ، وبينما اصوات المطارق الحديدية تملأ غرفة مكتبه نجده يستدعى الساعى ليحكم اغلاق صنبور الماء لأن النقط تزعجه !!

ويستطيع أنيس منصور أن يكتب فى أى مكان دون أن يضع النقط فوق وتحت حروف المقال وبعد أن ينتهى من الكتابة ياخذ المقال الى مكان هادىء يرش فيه النقط على الحروف (ملحوظة : هذه ليست نكتة) وعندما التحق الكاتب الساخر أحمد بهجت بمجلة « الجيل » كان يدوخنى بمطاردته لارتباطى بمواعيد الطبع ، إذ كان من عادته ـ عند الكتابة ـ أن يخلع حذاءه وجواربه ويضع امامه اكواب الشاى وعلب السجاير ويقضى ساعات وساعات حتى اضررت الى الجلوس بجواره ذات ليلة الى الثانية صباحا ولما لم ينته غافلته وحملت حذاءه وجوربه وانصرفت ليعود الى بيته حافى القدمين !

والموسيقار الكبير الامبراطور عبدالوهاب يمكنه أن يصنع الحانه الساحرة وسط الناس جميعا دون أن يشعر احد انه مشغول بالصنعة ، وبينما كان منهمكا ذات مرة فى لحن هان الود وهو يجلس فى لوبى هيلتون تقدمت منه سيدة تصافحه وتعرفه بنفسها قائلة : انا خديجة رمزى أخت المرحومة زينات رمزى ، فقال عبدالوهاب بترحاب شديد : اهلا يا خديجة هانم .. ازيك وازى المرحومة زينات هانم ؟؟

وذات صيف بعيد كنت أجلس مع عبدالوهاب فى شرفة منزله بالاسكندرية عندما اقترح ان نذهب الى قصر المنتزه لانه يريد أن يتجول فى غاباته الهادئة وقت الغروب ، وفى الغابة الجميلة التى لم يعد لها وجود الآن سرت الى جوار الموسيقار الكبير وقد انشغل تماما عن الحديث بتلحين أغنية « بفكر فى اللى ناسينى » ، وشيئا فشيئا علا صوته باللحن : وادور ليه على جرحى .. وصاحب الجرح مش فاكر واقول ياعينى ليه تبكى مادام الليل مالوش أخر ، ثم تسلطن الامبراطور تماما وانطلق يغنى وكأنه فى حفل عام : واقول ياعينى ليه ليه ليه تبكى ، وراح يبدع فى ترديدها باشكال مختلفة ، ثم فجأة قال لى : تعال نجيب العود من العربية ، وعلى الرصيف جلست الى جواره وهو يحتضن العود ويردد : عذاب الجرح يحرمنى من الدنيا اللى انا فيها وطول الليل يرجعنى لدنيا كنت ناسيها .

لم أستمتع بالفنان العظيم مثلما استمتعت به فى تلك الأمسية ولم يقطع متعتى إلا سائح أوروبى تقدم منا ونحن على الرصيف ودس فى يدى « شلن » . افتكرنا شحاتين !! ..

• • •

أطبـــاء

■ ما هى العلاقة بين الطب والأدب ؟

ان أبرز أدباء العالم من الأطباء : انطون تشيكوف اعظم من كتب القصة القصيرة ، وجورج ديهاميل وسومرست موم وسير ارثر كونان دويل ـ مبتكر شخصية شرلوك هولمز ـ ويوهان شيلر وبريخت والشعراء كيتس وشيلر وروبرت بريدجز !

وفى أدبنا العربى نجد طابورا طويلا من الأطباء : ابراهيم ناجى صاحب الشعر العذب الرقيق ، ويوسف ادريس عملاق القصة القصيرة ، والمفكر مصطفى محمود والدكتور سعيد عبده والدكتور حسين فوزى ومحمد كامل حسين صاحب قرية ظالمة التى نال عنها جائزة الدولة فى الأدب !

وباستثناء محمد كامل حسين الذى كان رائد جراحة العظام فى مصر ونال جائزة الدولة أيضا فى العلوم كطبيب ، نجد أطباءنا الأدباء لم يضيفوا شيئا الى مهنة الطب ، وإن كان مصطفى محمود ـ تخصص أمراض جلدية ـ أعتقد مرة اثناء عملية تشريحية انه اكتشف رئة ثالثة فى الانسان ثم اتضح انه نسى نظارته فى البيت .

وكان كامل الشناوى يقول أن يوسف ادريس ومصطفى محمود من خريجى « كلية الطب الجميلة » وهى غير الكلية التى تخرج فيها على باشا ابراهيم وأنور المفتى ، ورغم نصيحة كامل الشناوى لى بالا استشير مصطفى محمود اى استشارة طبية إلا اننى أعترف أن مصطفى صاحب فضل كبير لا يمكن أن أنساه ، فمن ربع قرن كنا متجاورين فى المسكن ، وحدث أن مرضت ذات ليلة ، وبحثوا عن جارى د. مصطفى محمود فى منتصف الليل ، وأصبحت بعد تلك الليلة أدين له بحياتى ، إذ اتضح انه كان مسافرا وبذلك نجوت باعجوبة من الموت على يديه !

لا يزال السؤال قائما : ما هى العلاقة بين الطب والأدب ؟

ان أحد مشاهير الأدباء الأطباء ـ سومرست موم أو جورج ديهاميل لا أتذكر ـ فسر ذلك بأن الطبيب يرى الانسان ـ فى حالة المرض ـ عاريا عن كل غرور وكبرياء ممدودا فى استسلام وألام الأمر الذى يدفع الطبيب الى التفكير فى لغز الحياة والمصير !

ولو صدق هذا التحليل لكان بين الأدباء والمفكرين كثير من الحانوتية !

والأمر كله فى اعتقادى يعود الى موهبة أدبية فذة لا يرقى الى مستواها الاكتساب ـ اكتساب الدراسة الطبية ـ إلا أن الذى لاشك فيه أن الاشتغال بالفكر والأدب يجعل الطبيب انسانا مرهف المشاعر ، فقد كان يوسف إدريس مثلا وهو مفتش صحة السيدة زينب شديد التعاطف مع الناس ، يفحص من يلتقى بهم دون أن يطلبوا منه ذلك ، فكان يوسف يمرض السليم أما المريض فالفاتحة على روحه ..

واذكر أن يوسف ادريس دخل علينا ذات ليلة كافتيريا هيلتون يسألنا ماذا يسمى ابنه البكر الذى ولد فى تلك الليلة فاقترح كامل الشناوى على يوسف أن يسمى ابنه « الدكتور » حتى يكون اسم الولد الثلاثى الدكتور يوسف ادريس فيتحقق بذلك أمل يوسف أن يكون طبيبا !

● ● ●

فى الصـــالون !

أكره الحلاقة جدا !

الأرجح أن السبب حادثة مرت عليها عشرات السنين يوم ذهبت أحلق شعرى وأنا فى المدرسة الابتدائية فدخل رجل صالون الحلاق وفى يده ابنه فى مثل عمرى ، فقص الرجل شعره وحلق ذقنه ، وجاء دور الولد الصغير فأجلسه الحلاق على منضدة ليقص له شعره بينما ذهب الأب الى الحانوت المجاور بعد أن نفدت سجائره ، وجن جنون الأسطى رشوان عندما اكتشف أن الرجل ليس أبوالولد الصغير ، وإنما اصطحبه من الطريق ليتركه رهينة عند الحلاق باعتباره ابنه ويفر دون أن يدفع الأجرة !

ولم يكتف الحلاق بضرب الولد المسكين الذى لا ذنب له ، بل امسك بى أنا ايضا وهو يصيح : وانت كمان أبوك فين ياولاد النصابين ؟ ولم أدر فى مقاومتى اننى كسرت قصرية زرع فتحول الحلاق الى القصرية المكسورة وتحولت أنا الى الشارع أسابق الريح .

من يومها أصبت بما يمكن أن يسمى بـ « رهاب الحلاقة » أو الخوف من الحلاقة أو « الحلاقة فوبيا » مثل الكلوستروفوبيا اى جنون الخوف من الأماكن المغلقة والسابنوفوبيا ـ جنون الخوف من الكلاب ، وقد دفعتنى تلك « الحلاقة فوبيا » الى عدم الانتظام فى الحلاقة أو تحديد حلاق معين ، فكنت اترك شعرى الى ان يصبح منظرى غير مقبول فارغم نفسى على التوجه الى أول حلاق يصادفنى ، الى ان انتقلت من الاسكندرية الى القاهرة واستقر بى الأمر عند الأسطى محمد حلاق أخبار اليوم الذى كان له صالون فى قلب الدار يتردد عليه مصطفى امين وعلى امين وتوفيق الحكيم وأحمد الصاوى محمد ومحمد عبدالوهاب وغيرهم من عمالقة الصحافة والأدب والفن ، وعندما قامت ثورة يوليو أصبح الأسطى محمد حلاق جمال عبدالناصر وضباط الثورة .

وذات مرة كنت أتردش مع الأسطى محمد وقلت له اننى أنوى القيام بخبطة صحفية فأجرى حديثا مع جمال سالم الذى لم يفلح صحفى واحد فى عمل حوار معه ، وقال لى الأسطى محمد هذا صعب جدا ، لأن جمال سالم يكره الادلاء بأى حديث صحفى كما انه شديد العصبية وأخشى أن يسىء اليك وقلت للأسطى محمد سوف أجرى حديثا صحفيا مع جمال سالم وما عليك إلا أن تساله ان يحدد لى موعدا .

وكبرت المسالة فى راس جمال سالم : كيف يجرؤ صحفى على طلب حديث معه ؟ وتطورت المشكلة عندما رفضت الذهاب اليه ، فارسل سيارة بوليس حربى لضبطى وإحضارى فهربت من أخبار اليوم ثم من القاهرة كلها الى الاسكندرية ولم يخلصنى من هذا المازق إلا على امين الذى كان صديقا حميما لجمال سالم . ومات الأسطى محمد صاحب صالون اخبار اليوم وعادت حيرتى من جديد مع شعرى ثم استرحت كثيرا الى الفنان محمود لبيب ، وهو رفيع الذوق ويتعامل معه كل نجوم القاهرة فى الفن والأدب ، ولأنه فنان يساير التطور اولا باولا فهو يقص دائما وفق الموضة الجديدة ، وعندما جاءت موضة الشعر القصير جدا خرجت راسى من تحت يديه وهى شبه « قرعة » ولما ضربت الجرس كادت زوجتى تغلق الباب فى وجهى لانها لم تتعرف على لاول وهلة ثم ما لبثت ان صاحت فى دهشة : همه جندوك فى الجيش امتى ؟

وجربت الأسطى « فلان » لكنه كان كثير الكلام إذ تبين انه على خلاف ايدولوجى مع جميع ساسة العالم وهو حريص على شرح هذا الخلاف ، وقلت له فى النهاية اننى اعتدت أن افكر اثناء الحلاقة وأكون شاكرا لو تركتنى لافكارى دون أن تقاطعنى ، وقد بر الأسطى « فلان » بوعده فلم يقطع افكارى بل قطع ذقنى وجرح رقبتى وطلبت منه كوب ماء حتى اتبين موضع الثقوب التى سوف يخرمنها الماء اثناء الشرب .

ولا تزال زوجتى تطاردنى بالعبارة التى اعتدت سماعها على مر السنين : مش ح تروح تحلق ؟

اخيرا اشتريت المشط الموسى وساحاول ان احلق به لنفسى ، وفى كل مرة يبدو شعرى غير مهذب الأطراف وكاننى احلق بالتسعيرة فى صالون وزارة التموين .

● ● ●

قراءة جديدة .. فى أمثال قديمة

ظل السجع موضة الكتابة عصورا طويلة .

حتى عنوان الكتاب كان لابد أن يكون مسجوعا مثل : « دليل الحيران فى ركوب مترو حلوان » و « العقد النفيس فى انفجار ماسورة رمسيس » و « المعذبون والحيارى بالتليفون والحرارة » . ولم يكن السجع فى تلك العصور وقفا على الكتابة الأدبية ، بل امتد أيضا إلى لافتات المحال : « راجى عفو الخلاق الأسطى بهلول الحلاق » و « كل كشرى بالهنا والشفا واقر الفاتحة لسيدى أبوالوفا » . كذلك حملت اقوال المنجمين والمشعوذين الطابع السجعى : حدرجة بدرجة من كل عين زرجة ، ورقيتك واسترقيتك ومن عين الحسود خبيتك ، كما سيطر السجع على الفزورة والحزورة : اد الكف ويقتل ميه والف ، واد الفيل ويتصر فى منديل ..

وإذا كانت موضة السجع قد انقرضت ولم يعد باقيا منها إلا تلك الأقوال المأثورة المنقوشة على التاكسيات : يا ناس يا شر بطلوا أر ، إلا ان النزعة السجعية لاتزال تعيش بداخلنا وتستميلنا إلى قول العبارة المسجوعة . فالعبارة المسجوعة تؤثرها الذاكرة فى الحفظ على غيرها ، وهى أيضا الأكثر سهولة فى الترديد خاصة فى المهرجانات الموسمية حيث تتردد : يا زمالك يا مدرسة ، وبيب بيب اهلى ، والله خى التانى جى ..

لكن هذا السجع جنى ـ للأسف ـ الجناية الكبرى على أمثالنا العامية التى نشات فى العصر السجعى فان جانبا كبيرا من هذه الأمثال لا تستهدف أية غاية من قولها إلا وجه السجع نفسه ..

مثلا .. خذ هذا المثل العامى الذى يقول

« كل حمارة سابت ودوها بيت ابو نابت »

أشمعنى بيت ابو نابت ؟

ان ابو نابت هذا شخصية وهمية طبعا ، فلا هو كان تاجر حمير مسروقة يتجهون اليه بكل حمارة سابت ، ولا هو اشتهر بعطفه على الحمير الضالة وتقديم البرسيم اليها مجانا ، ولا كان ابو نابت صاحب ملجأ خيرى للحمير ..

ثم لماذا « الحمارة » فقط دون الحمار هى التى يذهبون بها إلى بيت أبو نابت ؟ هل كان أبو نابت يتمتع بجاذبية خاصة لإناث الحمير ؟ هل كانت كل حمارة تهرب من أصحابها تسعى مشتاقة إلى رؤية أبو نابت وعلى بيت أبو نابت ودينى زاد وجدى والبعد كاوينى ؟ المسألة كلها انها يجب ان تكون حمارة حتى يمكن ان يقال الحمارة سابت ليستقيم التسجيع مع أبو نابت ، كما أن السر فى اختيار اسم أبو نابت هو أن الحمارة سابت فاذا ما تركنا أبو نابت وملجاه الخيرى للحمير ، وجدنا هذا المثل العامى الشائع :

« فرح عديلة .. هد .. هد بلا نيلة » ..

من تكون عديلة هذه ؟

ولماذا يحرص هذا المثل العدوانى بقوة والحاح على هد الفرح فوق دماغها ليلة زفافها ؟ ان ورود اسم عديلة هكذا مجردا من أى لقب ، يشعرنا للوهلة الأولى ان عديلة هذه شخصية من شهيرات التاريخ ، تماما كما يقال اسم كليوباترا مجردا ولا يقال كليوباترا بنت بطليموس الزمار لكن صفحات التاريخ ليست فيها أية ملكة اسمها عديلة الأولى أو عدولة الرابعة ، ولم يذكر التاريخ مثلا ان هولاكو التتارى دخل مملكة عديلة غازيا ليلة زفافها وقال :

فرح عديلة هد .. هد بلا نيلة ..

فمن تكون الآنسة عديلة إذن ؟ ولماذا اختصها المثل بالتحريض على هد فرحها وتكسير الكلوبات على دماغها دون ان يسوق المبررات لهذا العدوان عليها فى أحلى ليلة فى عمرها ؟ الحكاية - ببساطة - ان سوء حظ هذه البنت جعلها تحمل اسم عديلة الذى هو على وزن نيلة وتاتى بعد الآنسة عديلة : الآنسة « طيطة » غير ان طيطة أسعد حظا بلا شك من عديلة ، إذ يقول المثل الشائع عن طيطة :

« نومه وتمطيطة أحسن من فرح طيطة » ..

فالمثل هذا يكتفى بالدعوة إلى مقاطعة فرح طيطة مفضلا عليه النومة والتمطيطة ..

مسكينة طيطة !

فالأرجح - كما يدل المثل - ان طيطة بنت رجل حط به الحال بعد العز والثروة ، فالأصدقاء الاندال الذين عرفوا انه فقد ثروته اعتبروا النومة والتمطيطة أحسن من فرح بنته طيطة ، أما الأصدقاء الذين حضروا فرح البنت ، فهم لا زالوا اوفياء لانهم - أكيد - لم يعرفوا بعد انه فقد ثروته !

.. وهذا فرح ثالث العريس فيه اسمه « يحيى » وانت تستطيع أن تستنتج الحالة المالية لوالد العريس من المثل الشائع :

« نموت ونحى فى فرح يحيى » ..

الكل هنا مشغول بفرح يحيى ، الكل يروح ويجىء ويصحو وينام ويموت

استعدادا لفرح يحيى ، ان هناك احتمالا قويا بأن الذين ابتدعوا هذا المثل وذاعوه ونشروه هم بنو همبكة ، وفى هذه الحالة لابد أن يكون والد عريسنا يحيى وزيرا أو نائب وزير أو رئيس هيئة أو وكيل وزارة أو مدير عام ، هنا تتحول الادارة كلها إلى خلية نحل من أجل يحيى وفرح يحيى ، وهنا تزخر اعمدة الاجتماعيات فى الصحف بالتهانى الحارة قبل واثناء وبعد فرح يحيى ، وهنا نقرأ مثل هذه السطور التى تتفجر اخلاصا وولاء فى مناسبة فرح يحيى :

عبدالله الالبنظى وكيل إدارة التنقيب عن البترول بالهيئة العامة لحفر شوارع القاهرة الكبرى يضرع إلى الله أن يسرع بشفائه ويخرج من غرفة الانعاش حتى يتمكن من التشرف بحضور حفل زفاف فخر الشباب الأستاذ يحيى نجل السيد يحيى يحيى ..

وفى فرح يحيى ، وفى كل فرح فخيم مثل فرح يحيى ، لا تهمل أمثالنا العامية ما يتردد فى هذه الأفراح من آراء وملاحظات يرددها المدعوون ، وهى آراء وملاحظات نافعة حقا كان يمكن أن يفيد منها والدة ووالد العريس لولا انهماكهما فى الفرح ، الأمر الذى لا يتيح لهما سماع هذه الآراء التى منها مثلا هذا الرأى :

« الفرح والمعمعة والعروسة ضفدعة » ..

وهذا رأى آخر :

« جوزوا مشكاح لريمة ما على الاتنين قيمة » ..

وهذا رأى ثالث فيما قالته أم العروسة عن جمال بنتها وحلاوتها وهى جالسة فى الكوشة :

« خنفسة شافت بنتها ع الحيط قالت دى لولية فى خيط » ..

وهذا رأى رابع فى بياض بشرة العروس :

« الفلفل بالوقية والجير بالقنطار » ..

وهذا رأى علمى فى العروس يهم المشتغلين بنظرية دارون :

« يا واخد القرد على ماله ، يروح المال ويفضل القرد قلى حاله » ..

وهذا رأى لاحدى المدعوات ، إذ تخاطب العروس التى لا تسمعها لبعد المسافة بينهما :

« بدال خطوطك والحمرة امسحى عماصك يا سمرة » ..

وهذا رأى مدعوة تعلق على الرأى السابق :

« ايش تعمل الماشطة فى الوش العكر » ..

ولعل من أغرب أمثالنا التى يتحكم فيها السجع وحده هذا المثل الذى يقول :

« نينى نينى لما ييجى الأهبل يشترينى » ..

وهو مثل يضرب فى السلعة الكاسدة الفاسدة التى لا تجد من يشتريها إلا الأهبل ، ولا تحاول أن تجهد تفكيرك فى معرفة معنى « نينى نينى » فالأرجح

انها اللغة التى تتكلم بها السلع الكاسدة فى المخازن والمحلات ومن سوء حظ الانسان الاهبل - او غيرالاهبل - انه جاهل باللغة السلعية ، وإلا كان يسهل عليه وهو يدخل محلا ان يسمع السلعة الكاسدة تقول لباقى السلع فى ابتهاج :

نينى نينى .. الاهبل جاى يشترينى ..

خذ مثلا ذلك الموظف التموينى الفخيم الذى سافر مرة على رأس وفد إلى كاشكاوانيا لعقد صفقة لحوم معلبة لزوم المجمعات الاستهلاكية ، لقد دخل سيادته إلى مخازن المورد الاجنبى فى كاشكاوانيا لاختيار الصنف ، ولو كان سيادته ملما باللغة السلعية لسمع المعلبات التى وقع عليها اختياره تقول كلها فى نفس واحد .. نينى نينى .. الاهبل جه يشترينى ..

فقد كانت المعلبات التى اختارها نصفها لحوم فاسدة والنصف الآخر معلبات خاصة باكل القطط والكلاب ، ولقد وزعت هذه المعلبات على المجمعات الاستهلاكية فعلا ثم تم سحبها ، وادركت تلك المعلبات فيما بعد أن الموظف الفخيم الذى تعاقد عليها لا هو اهبل ولا بريالة ، وانها كان يجب أن تقول وسيادته يدخل المخزن ويختارها : نينى نينى .. ابو عمولة جه يشترينى !

فإذا تاملنا هذا المثل الآخر الذى يقول :

« تيتى تيتى زى ما رحتى جيتى » ..

لاحظنا على الفور ان المثل يحمل نفس اللغة التى تتخاطب بها السلع ، ذلك ان تيتى تيتى قريبة جدا من نينى نينى فى المثل السابق ، والمثلان - فيما يبدو مرتبطان ببعضهما البعض ، إذ ما أن تزول عن الاهبل أعراض الهبل ويتكشف له مدى الظلم الذى سوف يلحق به من ضالة العمولة حتى يعدل عن عقد الصفقة ، فتعود السلعة الفاسدة إلى مخزنها لتقابلها باقى السلع قائلة : تيتى تيتى زى ما رحتى جيتى ..

فإذا ما مضينا مع الأمثال المسجوعة صادفنا هذا المثل :

« نهق الحمار طلع النهار » ..

هنا يحار الانسان حقا فى العلاقة بين نهيق الحمار وطلوع النهار ، ولعلها علاقة فلكية ، يعنى إذا طلع النهار فلابد أن حمارا ما قد نهق فى نصف الكرة الأرضية الذى اشرقت عليه الشمس ، أو يجوز ان الحمار لا ينهق إلا مع طلوع النهار لسبب تكنولوچى وهو انه يستمد قوته النهيقية من الطاقة الشمسية ، او من المحتمل أن تكون رابطة الحمير على مستوى عال من السلوك الحضارى فحرمت على أعضائها النهيق فى الليل منعا لازعاج الناس الذين تكفيهم بلوى مكبرات الصوت البشرية ..

وقد يقصد المثل بطلوع النهار ظهور الحق ، فهم يشبهون احيانا ظهور الحق بانبلاج الفجر ، وقيل فى ذلك : الحق واضح ابلج ، فهل معنى المثل ان الحمار هو من يقول الحق ؟؟

على اية حال ، لنقرأ ماذا يقول هذا المثل النهارى الآخر :

« مكتوب على ورق الخيار من سهر الليل نام النهار » ..

هنا ندرك أن ساهر الليل لا ينام النهار لحاجته إلى النوم ، بل امتثالا لذلك الامر المكتوب على ورق الخيار ، والظاهر ان الكتابة على ورق الخيار كان لها مفعول سحرى غامض فى توجيه مقدرات الانسان الوجهة التى يريدها الكاتب على ورق الخيار ، ولهذا كانت الكتابة على ورق الخيار سرها باتع فى شئون العشق والغرام ، تشهد بذلك الاغنية القديمة التى تقول : ح عملك حجاب .. على ورق الخيار .. اسهرك الليل .. واجننك بالنهار ..

وتكشف الأمثال التى ابتدعها اجدادنا انهم كانوا يميلون إلى الكتابة على انواع غير مالوفة من الورق ، إذ يقول مثل آخر :

« مكتوب على ورق الحلاوة ما محبة إلا بعد عدواة » ..

هذا يدل بلا شك انهم كانوا على درجة عالية من التقدم فى صناعة الورق ، فقد تفردوا - دون العالم كله - بالكتابة على ورق الخيار وورق الحلاوة ، ولعلهم ايضا كانوا يكتبون على ورق البامية وورق الكوسة ، ولم يقتصر هذا التقدم على التكنولوچيا الورقية ، فقد انتشروا فى الأرض وهاجروا وتاجروا واغتربوا ، وراوا بلادا - كما تدل آثارهم الامثالية - لم يرها ابن بطوطة فى رحلاته ، فهذا مثل يقول :

« ما نبنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا » ..

هكذا ارتحلوا إلى بلاد كل من ذهب اليها عاد منها عوجة ، ضبته بالذات ، فما يكاد صديق يلتقى بصديق قديم له فى الشارع حتى يعانقه قائلا : اهلا يا فلان .. حمدا لله بالسلامة .. شايف ضبتك عوجة .. رجعت امتى ؟

وإذا كان من العسير علينا الآن معرفة اسم البلد الذى عوج ضبة كل مغترب فيها ، فان الأشد عسرا هو الوقوف على سر العلاقة بين خراب بيت الحلاق وبين أكله للملوخية بالعيش الطرى ، إذ يقول المثل :

« ملوخية وعيش لين يا خرابك يا مزين » ..

هنا يراودك شعور بالأسف على رعونة هذا الأسطى الذى تهور واكل الملوخية بعيش طرى رغم علمه بالعواقب الوخيمة لتناول هذه الوجبة للاسطوات الحلاقين ، فما كان اغناه عن خراب بيته لو انه تعقل واكل الملوخية بعيش ناشف ، ولكن النفس دائما امارة بالسوء ..

ولسوف تاتى أجيال وتذهب أجيال إلى يوم الدين دون ان تكتشف البشرية السر فى تحريم أكل الملوخية بالعيش اللين على كل مزين !

بل ان جانبا كبيرا من الأمثال المسجوعة سوف يظل مستعصيا على الفهم والتفسير ، اليك مثلا .. هذا المثل الشائع الذى يقول :

« يا قلبى يا كتاكت ياما أنت مليان وساكت » ..

هنا يقف الذهن البشرى حائرا أمام هذا القلب الكتاكت ، ترى ماهو القلب الكتاكت ؟ لابد ان كتاكت هذه لها علاقة بالامتلاء ، امتلاء القلب بالهموم ، فهل كتاكت هذه وحدة مكاييل للسوائل كاللتر والجالون ؟ هل يقال مثلا هذه امراة قلبها كتاكت اى قلبها سعة خمسين لتر هموم ؟ وإذا كانت كتاكت وحدة مكاييل ، فلماذا لم نسمع أن رجلا دخل محطة بنزين بسيارته وقال للعامل : كتاكت سوبر من فضلك ؟

ان المسألة تزداد تعقيدا عندما نجد امامنا فى الأمثال طرازا اخر من القلوب :

« يا قلبى يا كتكت اسمع الكلام واسكت » ..

هذه حيرة جديدة امام ذلك القلب الكتكت ، ولا حدود لحيرتنا عموما امام امثالنا المسجوعة ، فهى فى حاجة إلى مذكرات تفسيرية لنا تكشف غوامضها ، فانت إذا سمعت المثل الشائع الذى يقول :

« بين حانا ومانا ضاعت لحانا » !

استعصى عليك الالمام بالظروف الغامضة التى ضاعت فيها لحية ذلك الرجل بين حانا ومانا ، وهل حاناومانا رجلان ام امراتان ؟ وإذا كانا رجلين فهل هما مدرسان خصوصيان ؟ وإذا كانتا امراتين فما الذى اوقع هذا الرجل بين ايدى حانا ومانا وماهى البواعث التى دفعت بهما إلى نزع شعر لحيته ؟ هل هما ضرتان اتفقتا عليه ؟ وهل وجدت كل من حانا ومانا فى « تقليع شعر لحيته تسلية تعوضها عن سخف برامج التليفزيون ؟

ثم هذا المثل :

« كنت مرتاحة جت لى حاحة » ..

نحن هنا امام اسم غريب وغير مالوف لسيدة تخصصت فى قلة الراحة ، ولا احد يعرف الأسباب والملابسات التى دفعت بوالدها إلى ان يقيدها فى سجل المواليد باسم حاحة ، غير اننا يجب أن نطرح كل هذه التساؤلات جانبا لانها لن تؤدى بنا إلى نتيجة ، فان عالم الأمثال يحفل باسماء غريبة جدا لا وجود لها فى عالم الواقع ، كاسماء هذا الثلاثى المرح فى المثل القائل :

« جايب لى زعيط ومعيط ونطاط الحيط » ..

وهذا ثلاثى اخر :

« شنح وجنح وحبل غسيل ، تلاتة مالهمش مثيل » ..

هذا الأخ « زقزوق » الذى زوجوه من ظريفة ، كذلك من اشهر اخبار الزيجات التى تتردد على السنة الناس جيلا بعد جيل هو خبر زواج « مشكاح » و « ريمة » ولقد ظلت « ريمة » موضع اهتمام خاص من النساء ، فكن يتعقبن أخبارها ويتلصصن على اسرارها ، حتى صحت الدنيا ذات صباح وكل امراة تهمس فى اذن الأخرى :

« رجعت ريمة لعادتها القديمة » ..

وما ان تهمس المراة هذا السر الخطير حتى تدق الأخرى صدرها بيدها وهى تشهق ، ومن هذه الشهقة الممتزجة بالدهشة البالغة نستطيع ان ندرك ، اهمية ذلك الخبر الخطير الذى لا يزال الناس يتناقلونه عن رجوع ريمة لعادتها القديمة كذلك من الشخصيات الشهيرة فى دنيا الأمثال ـ ولا مثيل لاسمها فى دنيا الواقع ـ السيدة « ردا » التى أخذوا عليها ـ بعكس ريمة ـ انها لم تغير ابدا عادة من عاداتها لا القديمة ولا الجديدة ، فكانت تتلقى مكالمات تليفونية من أصوات مجهولة تعيرها قائلة :

« طول عمرك يا ردا وانتى كده » ..

ومن الأسماء التى نلتقى بها فى الأمثال : مرجانة ..

يبدو انه اسم فنى ، اسم شهرة : فاتنة الرقص الشرقى مرجانة ، يبدو انها ايضا راقصة هرمية الجنسية من شارع الهرم ، موهوبة فى اجتذاب الزبائن وجمع النقوط فوق صدرها المرمر ، إذ يقول عنها المثل :

« كل من جانا يحب مرجانة » ..

.. وهذا « عبدالله » .. رجل ثقة شديدة والظاهر انه « بياع مزاج » :

« خد من عبدالله واتكل على الله » ..

وهذا اسم لرجل ليس محل ثقة : بندق السيد الوزير بندق واضح من المثل انه وزير وانه كثير التصريحات :

« سيدى بندق ما أصدق » ..

.. وهذا « زعرب » .. ولا أحد يعرف على وجه التحديد ماهى الخطيئة الكبرى التى ارتكبها هذا الزعرب حتى ذهب كفره مثلا :

« كفر زعرب »

وهذا « أبو راضى » .. عميد أسرة يؤمن بالحكمة المأثورة المنقوشة على التاكسيات : يا ناس يا شر بطلو أر ، فالمثل الحسودى يقول عن أسرته :

« زى عيلة ابوراضى المشنة مليانه والسر هادى » ..

وهذه « زهرة » .. الظاهر انها من ممثلات الاغراء العاريات ويصعب عليك التعرف عليها إذا صادفتها فى الطريق وهى ترتدى فستانا :

« من قلة عقلك يا زهرة خليتى لك فى البلد شهرة » ..

.. وهذا بعجر :

« زى بعجر أغا ما فيهش إلا شنبات » ..

.. وهذه « أم عامر » التى قضت العمر وهى تمسك بين يديها بمنخل ، ماذا كانت تنخل ؟ الله أعلم ، المهم انها كانت تتلقى من الرائح والغادى هذه العبارة تشجيعا لها على مواصلة النخل ..

« انخلى يا أم عامر » ..

اما الاخ « عاشور » فمن الصعب الاحاطة باسباب الالاطة الشديدة التى كان عليها حتى قال فيها المثل :

« طظ يا عاشور » ..

وهذا مرزوق .والمثل الذى يحمل اسمه يكشف لنا عن طموح الرجل وعظيم صبره وقوة احتماله فى طلب المعالى . فيعلو فعلا فوق مقعد فريد فى نوعه :

« زى مرزوق يحب العلو ولو على خازوق »

.. وهذا اسم جديد جدا اسم « اوريچينال » شخرم :

لماذا لا نعدله إلى : « بعد الجوع والقلة بقالك مرسيدس وفيلا » ..

كذلك المثل القائل : قيراط بخت ولا فدان شطارة » ..

إلا يصبح اكثر وقعا لو عدلناه إلى : « قيراط كوسة ولا فدان شطارة » ..

فإذا كان التعديل فى الامثال غير جائز لمقتضيات تراثية تتطلب الاحتفاظ بنصوصها التى قيلت بها . فلماذا ـ وهذا هو السؤال الثانى ـ تقتصر امثالنا على ما قاله الاجداد ؟ اليس من حقنا ان نضيف اليها امثالا عصرية جديدة ؟

اعتقد ان هذا من حقنا .. فلماذا إذن لا نجتهد ونبتكر امثالا مودرن مثل :

— بعد العدس والفريك بقالها بوتيك ..

— مالك مهموم دى الهمة . قال ابنى فى الثانوية العامة ..

— الكل خدام مطرح ما اروح مادام باشاور باللحلوح ..

— ايه عملك حصان اصيل يا جحشى قال مشيت فى سكة القرع والمحشى ..

— غبت فين سنة يابو اليسر قال الورق كان ناقصه ختم النسر ..

— يابو السر هادى والبال راضى وممنون . قال عقبالكم لما تبيعوا التليفزيون ..

— اربع ولاد وعشرين درس خصوصى يا خراب بيتك يا خلوصى ..

— بعد اكل المدمس ولبس الهلهولة بقالك عمارات وسراية مهولة عقبالنا ياعم يا بتاع العمولة ..

● ● ●

الكلاميون

الوعود المعسولة او التصريحات موجودة فى كل بلاد الدنيا للمزايدات الحزبية غالبا . ولكنها ليست على الصورة الحادة التى ننفرد بها . ولعل ما يشجع على كثرة الادلاء بالتصريحات هو طاقة استيعاب الذاكرة عندنا . فلا يمكن لذاكرتنا ان تستوعب تصريحات قيلت على امتداد القرون والسنين . ولو جئنا باعظم كمبيوتر فى العالم لنخزن فى ذاكرته كل تلك التصريحات لانهارت ذاكرة الكمبيوتر : تصريح للوزير حار ـ حوتب عن وضع خطة عاجلة لحل مشكلة النظافة فى مدينة منف ـ تصريح الوزير ابوهلال الفاطمى عن الثورة الادارية وتيسير الاجراءات على المواطنين . تصريح الوزير القاسم بن طولون عن الاجراءات التى ينوى اتخاذها لتحسين رغيف العيش ـ تصريح الوزير كتخده بك عن ترشيد الانفاق الحكومى . وهو التصريح الذى ادلى به وهو يركب بغلة اخر طراز مستوردة من استراليا ..

وإذا كان الكمبيوتر يعجز عن استيعاب هذا كله فكيف يتسنى لمخ بشرى ان يلاحق ويتذكر ما يقال له ليل نهار منذ سنين طويلة ؟ .. ليس صحيحا إذن ما يقال اننا بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين الصحيح ان كمية التصريحات والنوايا الطيبة والوعود التى قيلت على مر السنين يستحيل ان تستوعبها مراكز ذاكرتنا فى الرؤوس !

ورغم الحضارة القديمة إلا اننا لم نسمع ـ كما يحدث فى الدول المتحضرة ان « حور ـ حوتب » قد اقيل من منصبه مثلا لانه كذب على الشعب فكل ما نعاقب به اى مسئول كذاب هو ان تتعجب لكذبه كما يشرح ذلك المثل القائل : اسمع كلامك اصدقك اشوف امورك اتعجب !

وما من شك ان امثالنا الشعبية تزخر بمواقفنا وارائنا تجاه الكلاميين من المسئولين . والارجح ان هذا المثل الشعبى الآتى عن التصريحات قيل ايام الحاكم بامر الله عندما كانت دواوين الحكومة تعمل ليلا والتصريحات تقال ليلا . إذ يقول المثل : كلام الليل مدهون بزبدة يطلع عليه النهار يسيح ..

ولاينبغى ان نعفى انفسنا من المسئولية إذ اننا نشجع المسئولين من الكلاميين على قول التصريحات إذ اننا متسامحون ترضينا الكلمة الطيبة مهما كان الكذب فيها واضحا . فيقول المثل الشعبى : « الكلام الطيب ينخى » . اى يحمل الانسان على القبول والسكوت والرضا ـ والمثل الآخر يقول : « كلمة حاضر تريح التعبان » ..

غير ان هناك عشرات الامثلة التى تدين قول التصريح مثل : « كتر الكلام

خيبة » ـ كتر القول قلة عقل » ، ويقول الشاعر القديم : زيادة القول تحكى النقص فى العمل ..

وواضح جدا من الأمثلة الشعبية أن حق الكلام طوال عصور القهر كان وقفا على الحكام ، إذ تلوح فى أمثالنا عاقبة الكلام أو مناقشة الحكام مثل : « اللسان عدو القفا » و « لولاك يا لسانى ما انسكيت باقفايا » !

• • •

فى عيد الحب !

فى عيد الحب سألتنى صحفية شابة : كيف تفسر هذا التناقض انتم أباؤنا الذين تقيمون عيدا للحب .. وانتم أباؤنا الذين تحاربونا إذا أحببنا !

قلت لها : نحن لا نحارب الحب بدليل احتفال الآباء بعيده ، لكن بعض الآباء علمتهم التجارب الخوف على القلوب الشابة من الاندفاعات العاطفية أو لعلهم ـ بناء على تجربة شخصية مرة ـ يعرفون أن الحب قد تكون له غالبا خاتمة مروعة هى الزواج !

لقد قطع الحب شوطا طويلا للاعتراف به على مستوى الأسرة ، وبعيدا عن اتهام الآباء بضرب الحب اقول لك انه كنت هناك خصومة مستمرة بين الناس جميعا وبين الانسان العاشق ، فحتى الذين مارسوا الحب عفيفا طاهرا لم يسلموا من ألسنة الناس إلى يومنا هذا : فقيس بن الملوح مجنون رسمى ، وقيس لبنى مضطرب العقل ، وكثير عزة ملتاث ، وجميل بثينة مختل ، وفى العصر الحديث وقف الناس والدولة ضد حب الملك ادوار ومسز سمبسون ، وفى العصر القديم وقفت روما بحد السيف ضد حب كليوباترا وانطونيو !

وفى المقابل ، وقف العشاق موقف النفور الشديد من الناس ، إذ نرى قصائد الشعراء وأغانى العشاق تندد بالناس : اللائم منهم والعاذل والشامت ، فيقول شوقى : يالائمى فى هواه والهوى قدر ويقول أيضا : ما بال العاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده ، وتعبر الأغانى عن دسائس الناس تجاه الحبيب والمحبوب فيقول عبدالوهاب : احبه مهما اشوف منه ومهما الناس قالت عنه ، ويقول عبدالحليم : قالولى الناس هواك حيرة ، ويصرخ فيهم فريد الأطرش : يا عواذل فلفلوا ، وتعبر أم كلثوم عن رأى العشاق جميعا فى أن البعد عن الناس غنيمة : بعيد بعيد أنا وانت .. بعيد بعيد وحدينا !

وجائز جدا ان تكون سر هذه الخصومة بين الناس والعاشق هو حسدهم

للمحبين إذ يقول عبدالوهاب حسدونى وباين فى عنيهم ، ويقول عبدالوهاب ايضا متقمصا شخصية قاسم السماوى : يصعب علىا اشوف غيرى عاش متهنى ، وناقص يقول جتنا نيلة فى حظنا الهباب !

والعاطفة التى كان ينبض بها قلب إنسان العصر الحجرى ما تزال هى العاطفة التى ينبض بها قلب إنسان عصر الليزر ، فلا يتغير من الحب على الزمان غير اساليب التعبير ووسائل اتصال المحبين فلو وجد روميو التليفون لما استعمل السلم الحريرى ، ولو كان فى عصر الحرملك اختلاط لما ظهرت وظيفة المرسال الذى كانت تتحدث عنه الأغانى القديمة : وابعث لك مرسالى واقولك يا غزالى من فضلك تعالالى . وفى كل عصر يثبت الحب انه قوة داهمة تصنع المعجزات وتنتصر على العقبات وتكتسح امامها كل الاعتراضات . ولا أدل على قوة الحب من أن الرجل يقبل عليه رغم معرفته الأكيدة بان الحب وجبة شهية لذيذة يعقبها عسر هضم رهيب اسمه الزواج !

• • •

قراقوش !

فى ذكرى العندليب الراحل عبدالحليم حافظ طالب البعض محافظة القاهرة باطلاق اسم عبدالحليم على الشارع الذى كان يقطن به فى الزمالك ويحمل اسم : شارع بهاء الدين قراقوش ..

وقراقوش حظى بشهرة خاصة بين المصريين على مر السنين ، فقد قدم نجيب الريحانى مسرحية اسمها « حكم قراقوش » ، وعندما تضيق زوجة بالأوامر الصارمة من زوجها فانها تستغيث قائلة : ولا حكم قراقوش وعندما يضيق مرؤوس من استبداد رئيسه يصيح فيه : انت قراقوش ! وهكذا أصبح قراقوش رمزا للحاكم المستبد الظالم ..

مع أن قراقوش مظلوم . فهو ليس رمزا لجنون الحاكم ، لكنه فى واقع الأمر نصب تذكارى تاريخى للسخرية الشعبية المصرية عندما يشهرها المصريون سلاحا فتاكا فى وجه حاكم لا يرضون عنه ..

قال المصريون عن تخلفه العقلى أن صقرا هرب من قراقوش فامر باغلاق باب زويلة حتى لا يجد الصقر منفذا للفرار من القاهرة . هل من المعقول ان يكون قراقوش بهذه العقلية الغبية وهو الذى كان موضع ثقة صلاح الدين ومن ابرز قواده ، وإذا كانت لفظة قراقوش أصبحت تثير الضحك فان معناها بالتركية ليس كذلك ، إذ ان « قرة قوش » تعنى « النسر الأسود » ..

فى عهد صلاح الدين اقترن تغيير مذهب الدولة باضطرابات داخلية إلى جوار

الخطر الخارجى وهو التصدى للصليبيين . فاذا اضفنا إلى هذا كله سوء الحالة المالية ومعاناة الشعب استطعنا أن نتخيل حجم سخط الناس . ولكن لأن صلاح الدين كان بطلا أسطوريا . فقد ارتفع عن كل نقد فى عيون المصريين . واتخذوا من قراقوش هدفا لغضبهم إذ كان ينوب عن صلاح الدين فى حكم مصر وكان شديدا وحاسما وعادلا ورجل دولة يمسك بالزمام أمام الفتن الداخلية للفاطميين . وبقدر ما نزه المصريون صلاح الدين عن أى خطأ . مرغوا قراقوش فى الوحل وصورته السخرية المصرية أحمق يثير الضحك حتى غلب سيرة جحا واشتق الأتراك من اسمه اسم « القره جوز » أو الأراجوز ..

وقد جاء فى كتاب ابن مماتى ـ الذى أضاف اليه المصريون الكثير جيلا بعد جيل ـ أن مدينا تقررت محاكمته لأنه يسوف فى تسديد دينه فشكا المدين إلى قراقوش انه يريد تسديد دينه ولكنه لا يعثر على الدائن فأمر قراقوش بحبس الدائن حتى يسهل على المدين معرفة مكانه ..

هل من المعقول أن رجلا يثق فيه صلاح الدين كل هذه الثقة يفكر هذا التفكير الأحمق ؟

ثم تذهب خفة الدم المصرية فى السخرية إلى أقصى مداها فيقولون عن بهاء الدين قراقوش ـ الرجل المتزن العاقل ـ ان امرأة جاءت اليه تشكو جنديا من جنوده ضربها فاجهضها . وهنا استشاط قراقوش غضبا وأمر الجندى بأن يعيد المرأة إلى زوجها حاملا كما كانت !

• • •

أم شناجر

فى مجال العمل التقيت باشخاص لهم أسماء غريبة مثل : دعبوس . وفناشى . وليت . وهنطش . وشناجر . والفسل . ويزيد الأمر غرابة أنها الأسماء الأولى وليست اسم الأب أو الجد . كذلك صادفتنى أسماء نسائية تثير التساؤل مثل : افتكرنى . وفلافل . وبشوكها !

وقد نستنتج من اسم افتكرنى ان أحد الوالدين كان يمر بحالة عاطفية دفعته إلى اطلاق هذا الاسم على المولودة وقد تعنى فلافل ما معناه يا عواذل فلفوا . كما ان الذى سماها « بشوكها » قصد ان تكون البنت وردة جميلة لكنها شائكة الملمس لكل طامع . غير ان الذى يحيرنى كثيرا . كيف يذهب أب إلى سجل المواليد ويسمى ابنه هنطش او فناشى او شناجر ؟

ولقد اشتد فضولى ازاء هذه الأسماء . فاستفسرت من بعضهم عن أصلها . وتبين ان ليت اسموه فى سجل المواليد ليث ـ أى أسد ـ لكن الموظف وضع شرطة

على الحرف الأخير فانقلبت من ليث إلى ليت . وصممت المدرسة على التمسك بالاسم الرسمى فشاع وذاع اسم ليت « بمد الياء وليس بتسكينها » أما شناجر الذى لا يعرف لاسمه معنى فى أى قاموس فيحكى ان اباه كان قد انفصل عن والدته وتزوج من أخرى فصمم ان يسميه شناجر حتى يصبح اسمها أم شناجر .. هاهاها .. ويفطس الأب من الضحك لهذه النكتة التى كان يرويها فى كل مكان انتقاما من زوجته السابقة !

وكشف الفسل عن سر اسمه الغريب فقال انه جاء بعد خلف خمس بنات . فأراد ابوه أن يقلل من شانه وقيمته خوفا من الحساد فاسماه الفسل . والفسل باللغة العربية الدارجة تقترب من معنى الصعلوك وفى اللغة الفصحى الفسل هو الرذل !

والحمد لله ان أبى لم يكن متأثرا بعادة قدماء المصريين الذين اخترعوا الأسماء القبيحة للذكور حتى يرفعوا عنهم شر الحسد . وشكرا لله انه لم يسمنى السنكوح أو صرصار الحيط ..

وكثير من الناس يطلقون أسماء على أولادهم وبناتهم دون أن يعرفوا معناها . فلا أحد يعرف معانى الأسماء التى انتشرت أيام ستى مثل بنباقادن وبنباكشر وناظلى شاه وجلفدان وماهيفيش وناظكتار وترنديل وشيفيكار ..

ولا يزال الناس يطلقون الأسماء العربية دون ان يعرفوا معناها أيضا . فقد قال لى صديق انه اطلق اسم عفراء على ابنته لأنه سمع اسمهان تقول فى مجنون ليلى عفراء تعالى نقضى حقا وجبا خذى وعاء واملئيه لابن عمى حطبا والواقع ان كل الأسماء العربية ذات معان جميلة . فعفراء مثلا معناها بيضاء واميمة تصغير أم وميادة ومايسة أى التى تمشى تتبختر . ومها هى البقرة الوحشية التى اشتهرت بسحر العيون وجمالها . وسهيلة من سهيل وهو النجم . والسهى اسم أبعد كوكب ورباب : سحاب وسحر هو وقت ما قبل الفجر ومنه السحور والمسحراتى . ونهلة من أحلى الأسماء العربية . فهو مشتق من المنهل أى ينبوع الماء الصافى . ووائل أى من يلجأ اليه الناس . وهيثم وهو فرخ النسر وزياد ووليد وطارق وياسر . كذلك انحسرت موجة الأسماء القبيحة التى كان يروج لها لاعبو الكرة وهم يتسمون بها مثل لوفة وخيشة واللالى والعجران والسكران . وكان الأطفال يتعلقون بهذه الأسماء البطولية فى عالم الكرة وتصبح أمنية كل منهم أن يصبح اسمه الجردل أو الجربان ولم يعد باقيا من هذه الأسماء إلا اسم العضاض وهو اسم الشهرة الذى انتشر بين بعض مؤلفى المسلسلات ..

• • •

فوازير لغوية

زارنى مستشرق أوروبى ذات يوم بصحبة الصديق الاديب جمال الغيطانى ، قال انه متخصص وباحث فى اللغة العامية المصرية ولكنه لا يفهم لغة كمبورة فى كاريكاتير مصطفى حسين بالاخبار ! وقلت للمستشرق ان كمبورة يمثل شخصية مرفوضة ويتحدث بلغة خاصة تنتمى إلى نوعيته ، وهى اللغة التى اطلقت على ورق البنكنوت الاستك والباكو والارنب : اى مليون جنيه ..

وقلت ردا على سؤال له ان القارىء يسهل عليه معرفة معنى اللفظ لأن اللغة العربية تتميز بانها تحفل بتخصيص الفاظ لمختلف الأصوات مثل ازيز وهدير وزئير وصليل ، فالحروف صوتيا ـ تعطى المعنى والمدلول ، وان هناك حروفا إذا اجتمعت مع بعضها اعطت معان متقاربة فى مختلف الكلمات ، فإذا جمعت مثلا حرفى « ش » و « خ » وجدت معنى التصدع والتشقق مثل شاخ وشرخ ، وشخرم وخشرم !

وإذا جمعت « ق » و « ط » اعطتك معنى واحدا مثل قطع وقطش وقطر وقطف !

وفى كتاب دلالة الألفاظ للعالم اللغوى د . ابراهيم أنيس أورد المؤلف الفاظا عربية مهجورة هى أشبه بالفوازير ثم عرض هذه الالفاظ على مجموعة من طلبته بكلية دار العلوم وعددهم ٢٤ وسال كل طالب ان يسجل ما توحيه كل لفظة من دلالة فى ذهنه ..

وهذه الفوازير اللفظية او الالفاظ المهجورة هى بالترتيب : الهبلع ـ الجرفاس ـ الخيتعور ـ النعثل ـ القهبلس ـ القذعملة ـ الطربال ـ الشنعوف ـ العثلط ـ القفندر ..

جرب انت ايضا ـ مع الطلبة ـ معنى هبلع وخيتعور والقهبلس لقد جاءت التفسيرات كالتالى :

١ ـ الهبلع : فسرها تسعة من الطلبة على انها الابله العبيط ، وفسرها اربعة على انها الضخم المهول وفسرها ثلاثة على انها القصير ..

٢ ـ الجرفاس : أجاب ١٤ طالبا ان معناها القوى الضخم والشجاع الخشن ..

٣ ـ الخيتعور : اجاب ثمانية من الطلبة بانها : الذليل الضعيف الجبان الكسلان ..

٤ ـ النعثل : لم يجب على هذه الكلمة سوى ١٣ طالبا فسروها على انها الهادىء النائم الوديع ..

٥ ـ القهبلس : فسرها عشرة طلاب بانها المراة الضخمة البدينة ..

٦ ـ القذعملة : فسرها ١٤ على انها القصيرة القميئة ..

٧ ـ الطربال : فسرها ١٧ طالبا على انها البناء الضخم العالى الشامخ ، ووصفها ٣ بانها المتهدم المنهار ..

٧ ـ الشنعوف : فسرها ١١ طالبا بانها قمة الجبل وقال ٣ أسفل الجبل ..

٩ ـ العثلط : أجاب ١٧ طالبا بانه اللبن المتجمد المتخمر ..

١٠ ـ القفندر : قال ١٢ طالبا انها صفة للجميل ، وقال ٨ من الطلبة انها صفة للقبيح ..

وهذه هى حلول هذه الفوازير اللغوية أو معناها باللغة الفصحى ..

١ ـ الهبلع : معناها اللغوى الأكول النهم ..

٢ ـ الجرفاس : الضخم ..

٣ ـ الخيتعور : الخداع المخاتل ..

٤ ـ النعثل : الشيخ الأحمق ..

٥ ـ القهبلس : المراة الضخمة ..

٦ ـ القذعملة : القصيرة القميئة ..

٧ ـ الطربال : البناء الضخم الشامخ ..

٨ ـ الشنعوف : القمة ..

٩ ـ العثلط : المتجمد المتخمر ..

١٠ ـ القفندر : القبيح المنظر ..

وكل فوازير لغوية وانت طيب ..

الكوسة !

سالتنى صحفية شابة من اين جاءت كلمة كوسة ؟

وقلت لها نحن قوم كوسيون من قديم الزمان ، فالكوسة فيما مضى كانت شيمة طيبة فينا قبل ان تصبح افة وقبل ان تغدو لفظة عصرية بغيضة ربما يتولاها المجمع اللغوى بسك المشتقات اللازمة منها مثل : كوس يكوس تكويسا ، ويقال هذا رجل كواس وهذا مكواس وهذا مكووس وهذا أمر تمكوس ـ بفتح الكاف ـ أى دخلت فيه الكوسة ..

ونحن قوم يحس أفراده بالانتماء إلى بعضهم البعض ، فهناك مثلا منظر مالوف فى الدرجة الثالثة بالقطار رجل يجمعون له ثمن التذكرة فى منديل والركاب ـ على حاجتهم ـ يدفعون عن طيب خاطر دون ان يعرفوه ولكنه الانتماء وهذا شاب يعاكس فتاة فى الطريق فننهره ونزجره لاننا نشعر ان هذه البنت ـ دون ان نعرفها

تنتمى الينا . وهذه سيارة تتعطل فى الطريق فيسرع المارة بتقديم المساعدة . والممثل او الممثلة او مذيعة التليفزيون لا تحقق نجاحها الجماهيرى إلا بقدر ما تشعر كل إنسان بانتمائها اليه : اخته ـ ابنته ـ ابنة اخته ـ واحدة من بيوتنا ..

وكوسة زمان هى وليدة الانتماء خاصة فى الريف . فالكبير فى القرية ياخذ بيد الصغير . وكل اسرة كبيرة فى القرية يشغل افرادها مناصب فى البندر او العاصمة مطالبة ـ بحكم تقاليد القرية ـ بتوظيف ابن اى فلاح فقير نال شهادة صغيرة او كبيرة وإذا لم تفعل فهذه عيبة كبيرة فى حق الأسرة تدين اقطابها بالخسة والنذالة . فمن اخلاق القرية نبعت الأمثال الشعبية التى تعبر عن الارتباط والتعاطف مثل « زيتنا فى دقيقنا » و « زى قواديس الساقية المليان يكب على الفاضى » . وتصبح الادانة اكبر إذا اهمل كبير فى القرية مطلبا لفلاح من قريته وحقق نفس المطلب لفلاح اخر من خارج القرية . من هنا جاءت كلمة كوسة . فالكوسة . نبات من الفصيلة القرعية . والقرع دائما يخرج عن خط زراعته ويمتد فارشا إلى خارجه . لذلك يقول المثل الشعبى : « زى القرع يمد لبره » . والمثل ـ كما هو واضح ـ يدين من يخدم الغريب قبل القريب ..

غير ان الكوسة الحميدة التى يفرضها الانتماء إلى الأهل والمكان تطورت مع الزمن إلى كوسة خبيثة . ليس مبعثها الانتماء لكن دافعها المصلحة الشخصية وعشق الفلوس وارضاء ذوى النفوذ . بل اننا حققنا انجازا تكنولوچيا مذهلا عندما فتحنا بطن الكمبيوتر سنة ٧٤ وزرعنا فيه الكوسة . فقام هذا الكمبيوتر بتوزيع شقق عمارات الأوقاف على الوزراء فقط . إذ برمجوا ذلك الكمبيوتر بحيث لا يعطى الشقة إلا لكل من يحمل صفة وزير . وقد دهش يومها المسئولون عن توزيع هذه الشقق عندما اعطى الكمبيوتر شقة لموظف فى الدرجة الخامسة بجمرك الاسكندرية . ثم تبين ان الكمبيوتر كان فى منتهى النباهة ولم يخطىء فقد كان الاسم الثلاثى لهذا الموظف عبدالله حسن الوزير !

• • •

تحيا الستات

حوصرت بأكثر من ثلاثين سيدة تتطاير من اعينهن الشرر ظنا منهن اننى اعادى المراة . وذلك بعد ان استدرجنى بعضهم إلى ذلك الفخ على شاطىء البحر خلال اجازة قصيرة .

واكدت لهن اننى لم اكتب ابدا أن المراة لاتصلح رئيسة عمل . بالعكس . طول عمر الرجل تحت رئاستها وليدا رضيعا فى حجر الأم . ثم طفلا فى حضن مشرفة الحضانة . ثم مراهقا تتلقفه بنت الجيران . ثم شابا يريد دخول الدنيا . ثم زوجا دخل الآخرة .

ولا عجب ان تحسن المراة ادارة عمل . فهى بحكم استعدادها كربة بيت نراها موهوبة بالفطرة فى فن الادارة . كما انها اكثر مقدرة من الرجل فى علاج المشاكل الاقتصادية . واذا قيل ان المراة مبذرة فهذا افتراء . إذ ثبت أن المراة تحرص كثيرا على المال الذى تكسبه من عملها ولاتبعثر إلا فلوس الزوج لا لمجرد الرغبة فى التبذير . ولكن لاعتبارات استراتيجية عليا متعلقة بامنها الشخصى وطبقا لقواعد الأمن والسلامة الموروثة عن جدتها : قصقصى طيرك لايلوف بغيرك .

ثم ان المراة اقدر على التعامل مع الآخرين بالسياسة والحيلة والقدرة على المناورة والاقناع ولعلنا نذكر فى هذا المقام حادث التفاحة الشهيره .

والمراة بطبيعتها بشوشة الوجه . فهى ارئيسة فى العمل لن تطالع مرؤوسها بوجه متوتر اللهم إلا إذا كان هذا المرؤوس زوجها .

وهى ـ كرئيسة عمل ـ ليست أسيرة عواطفها كما يزعم البعض . ففيما عدا عاطفة الأمومة . فإن المراة تستطيع ان تتجرد سهولة من كل عواطفها . وان تاتى اعمالا يعجز الرجل عن القيام بها كالسيدة تاتشر السيدتين ريا وسكينة .

وقد يتصور البعض ان السيدة تاتشر اختراع جديد من النساء . ابدا . فالتاريخ ملىء بالسيدات الحديديات . ذلك ان كل امراة تتوافر لها ظروف السلطة والقيادة نراها شجنح إلى ممارسة القوة واحيانا القمع . ويتجلى ذلك واضحا فى الزوجات .

وهى تلجا إلى ممارسة القمع والعنف لتغطية احساسها بالضعف من ناحية التركيب الجسمانى . ودفعا لاعتقاد الآخرين بانها مخلوقة هشة يسهل التغلب

عليها . وقد ثبت أن عقلية المرأة تتميز بعمق الادراك ، يساندها فى ذلك جهاز عصبى مدرع ، اقوى واشد متانة من جهاز الرجل ، والطريقة التى تفكر بها سيدة مثل اجاثا كريستى فى كيفية ارتكاب الجريمة والقاء الغموض والظلال على الشخوص تكشف بوضوح عما تتمتع به عقلية المرأة من القدرة على التخطيط الدقيق والتنفيذ المحكم فى الخلاص من جثة الزوج .

• • •

مساء الخير أيها الأزواج

قرات احصائية عن متعاطى المخدرات كشفت عن ان الرجل المتزوج يمثل النسبة الكبرى فى قائمة المدمنين على الحشيش ، يليه الأعزب ، فالمطلق ، فالأرمل .

ولاشك أن هذه الاحصائية قائمة على الدراسة الميدانية وليست على الفراسة كايام زمان . ففى الماضى كانوا يخلطون بين مظهر الزوج ومظهر المدمن لشدة التشابه بينهما فى تقوس العمود الفقرى وتهدل الكتفين وطاطاة الراس والبصر الزائغ ، فكان رجال الشرطة إذا اشتبهوا فى شخص صحبوه للتحرى وفى قسم الشرطة يتضح انه زوج مزمن لا مدمن .

ولعل سبب ارتفاع نسبة الادمان بين المتزوجين يكمن فى ان الزواج نظام قهرى كاى نظام سياسى ديكتاتورى فلا يختلف الزوج عن اى شخص تحت الحكم الشمولى ، فحرياته مصادرة ، وجيوبه مؤممة ، والمشاكل تحاصره ، والضغوط الاقتصادية تحيط به من كل جانب ، فتنشا بينه وبين الواقع الخارجى خصومة حادة ، ولايبقى له مهرب - فى تقديره إلا الجوزة حيث يفتعل خلق حالة من البهجة الكاذبة والسلطنة !

والحشيش يخلق لمثل هذا الزوج المقهور احساسا متضخما بالعظمة والاهمية لا وجود لهما فى واقع الأمر داخل البيت ، كما يؤدى الحشيش الى انحسار الاحساس بالمسؤلية والخجل والتحفظ مما قد يتسبب فى استئساد الزوج وطول لسانه ، وبالتالى احتمال نقله إلى عنبر الكسور

والمفروض ان يصبح الأعزب فى آخر قائمة المدمنين ، لكن ظروف العصر جعلته التالى فى الادمان بعد المتزوج ، فإن تفكير الأعزب فى الزواج أشبه بمحاولة عبور طريق مسدود ، والحشيش هنا يشيع احساسا مؤقتا بتهوين المشكلة وقبولها والتعايش معها والامل فى حلها .

ثم طبيعى جدا أن تنخفض نسبة التعاطى بين الرجال المطلقين ، فالمطلق كان يواجه مشكلة عسيرة وصلت عقدتها إلى الذروة حتى تولى حلها مولانا المأذون .

واذا كان الأرمل صاحب اقل نسبة فى التعاطى ، فلأن الأرمل لم يعد فى حاجة إلى مخدر ، إذ تم فض الاشتباك برحيل الزوجة ، ولم يعد يقلق ذلك الأرمل إلا اكتشاف جريمة القتل التى انتهت برحيل الزوجة !

• • •

بوليصة الحب !

ان كل حبيبين يجمعهما الرباط المقدس يساورهما فى شهر العسل قلق عظيم يكمن فى هذا السؤال : هل يستمر غرامهما - كما بدا - قويا حارا مدى العمر ؟؟ السؤال قديم جدا وهو يجرنا غالى سؤال اخر : هل تقبل شركات التامين أن تؤمن على مثل هذا الحب ولو لصالح الزوجة ؟

ان هذا سوف يسعد الوف الزوجات بقبض بوليصة التامين بعد غياب الحب ، لكن من المؤكد أن شركات التامين لن تقبل هذه المغامرة إلا بعد اجراءات وشروط خاصة ، لعل أولها الكشف الطبى العقلى على الزوج ، فهذه الشركات تعرف بالطبع ان اقدام الرجل على الزواج لايحتاج الى اى عقل ، فاذا ثبت بعد الفحص الطبى انه استرد قواه العقلية وبدأ يدرك الأمور على حقيقتها بندم اليم ، فلا بوليصة تامين طبعا .

فاذا كان لايزال مختلا فتلك بشرة خير ، ذلك أن الحب الغرامى المتوهج هو الطف واجمل انواع الخبل العقلى حتى ولو صاحبته ميول انتحارية تدفع الانسان إلى القاء نفسه فى بيت الزوجية . كذلك سوف يتعرض الزوجان - قبل التامين - لجهاز المراقبة السرية من جانب الشركة للوقوف على ترمومتر الحب . هل يعاملها كما لو كان يلتقى بها لأول مرة ؟ هل هو - فى المطعم - يمسك بيدها ويهمس ، أم يجلس إلى المائدة مخروسا شان كل الأزواج ؟ ففى اى مطعم تستطيع دائما أن تميز العشاق من المتزوجين .

ففى الحب تنشط مراكز الكلام فى مخ الرجل فلا يتوقف عن الحديث اليها ، كما أن تعبيره عن حبه يكون بالصوت والصورة ، إذ تظهر على ملامحه معالم الهيام كما تظهر ايضا فى حركات يديه التعبيرية

كذلك لن يخلو الأمر من امتحان عسير على جهاز كشف الكذب مع أسئلة من هذه العينة . إذا كسرت الزوجة شيئا ثمينا او خبطت السيارة الجديدة مثلا فهل تقول لها « فداكى ياحياتى ولا يهمك » ام تقول لها طول عمرك شعنونة ومجنونة ؟

كما ينشط قسم التحريات فى شركة التامين حيث يعمل جواسيس الشركة خدما داخل بيت الزوجية لكتابة التقارير عن الحالة العاطفية داخل البيت .

ففى الحب مثلا تتعطل مراكز الادراك فى المخ فلا يعرف كل من الجانبين السبب الذى يحب من أجله الآخر . وفى اللاحب تعمل مراكز الادراك فى المخ بكفاءة فتبدأ المشاكل عندما لايجد كل من الطرفين سببا وجيها لزواجه من الآخر .

وفى الحب تظهر على الرجل بوادر الكلبتومانيا العاطفية فيسرق منها القبلات فى البيت . وفى اللاحب يشتد داء جنون السرقة عند بعض الأزواج فيسرق القبلات من الشغالة .

• • •

كيميا .. !

افسد العلم خيال الشعراء والرومانسيين عندما صعد الانسان إلى القمر واكتشف ان وجهه المضىء من بعيد هو مجرد صخور وجبال وأخاديد . ومن فوق القمر رأى رواد الفضاء كوكب الأرض مضيئا وهو يواجه الشمس فبدا كالقمر . ولو كان فى القمر سكان لقال الحبيب لحبيبته : شايفه الأرض ياليلى .. وشك زى الأرض يا روحى !

حتى الحب حوله العلماء إلى كيمياء .

فلوعة الحب التى تحرق كيان العاشق اصبح تفسيرها العلمى : افرازات كيميائية . فالمراكز العصبية العليا هى التى تتحكم فى العواطف والأحاسيس وتؤثر على غدة الكظر فوق الكلى . فتفرز الادرينالين . وافرازات الادرينالين والكورتين عمليات كيميائية ترجمتها الانسانية او السلوكية : مش قادر على بعدك ثانية ابدا يا حبيبى .

وافرازات التستوستيرون وجزيئات محددة النسب من الكربون والايدروجين هى التى تحدث الجوى وعذاب الشوق والحنين ويا حياتى انا كلى حيرة ونار وغيره وشوق اليك !

والقبلة : افرازات كيميائية فى الأعصاب تسبب السعادة والنشوة .

ولو أن عاشقا كتب رسالة غرامية يصف مشاعره باسلوب العلم لقال لها فى الرسالة : « ياحبيبتى ان حبك يسلمنى إلى جو يشقينى .. اننى احس فى هدوء الليل الآن بفيضان من التستوستيرون يملأ جسمى الضامر الذى أضناه الهوى . بل أكاد ارى الأدرينالين يندفع من غدة الكظر بداخلى لينفذ من جلدى ويكسو بشرتى كلها مع الكورتين ياحبيبتى »

ومادام الحب كيمياء فإن اسخف ما سوف يفعله العلم فى المستقبل هو انتهاء عصر متعة عذاب الحب والسهد والوجد ودموع الليل . إذ ما أن يتعاطى العاشق حقنة خاصة حتى يلعن المحبوبة ويفطس من الضحك على هبله لانه يحب هذه البنت الهايفة .

ويبذل العلماء الآن جهودا متواصلة غلسيطرة على المخ الانسانى كيميائيا . ونجحت التجارب فى كبح السلوك العدوانى للمجرم . وهذا يبشر باختراع تعامل كيميائى آخر مع مخ الانسان يمنعه من العدوان على الناس بتاليف المسلسلات .

بل ان التعامل الانسانى الكيميائى مع المخ الانسانى تجاوز مرحلة التجارب فى نواح معينة إلى مرحلة طرح العقاقير تجاريا . فامتلأت مخازن الأدوية فى اميركا بمركبات كيميائية متنوعة : فهذا عقار السعادة وهذا عقار يعين على تحمل الصدمات النفسية . وهذا عقار يبث الشجاعة عند الرجل فى مواجهة زوجته .

واصل هذه العقاقير كلها اكتشف مصادفة فى الخمسينات . ففى مستشفى لامراض الصدر باميركا . لوحظ ان مرضى السل يتركون فراشهم ويرقصون فى العنابر وهم يتصايحون فى مرح شديد . حتى اكتشف الأطباء ان هذه السعادة تنتابهن بعد جرعة دواء من ادوية السل اسمه « ايزونيازيد » وهذا الدواء هو الذى قاد العلماء إلى التوصل إلى مجموعات العقاقير المستعملة الآن ضد مرض الاكتئاب . وهو مرض ينتشر فى الغرب وانتقل إلى بلادنا بعد دخول التليفزيون

• • •

الوالدان

سالونى هل كانت امنا حواء شقراء ام سمراء ؟ وما شكلها العام . وكيف كان فى تصورك والدنا آدم ؟ ولا اظن ان امنا حواء كانت شقراء . فمن المؤكد ان حواء - بعد الخروج من الجنة - لم تستقر مع ادم فى استكهولم او كوبنهاجن . بل استقرت فى ارض الشرق . ومنذ فجر التاريخ وحفيدات حواء فى هذه المنطقة سمراوات بشعر اسود وعيون كحيلة . فلا تمكن ان تكون الجدة إذن شقراء ولايمكن ان تكون قد غيرت لون شعرها من الأسود إلى الاصفر لاستحالة الحصول على الصبغة التى تحول الشعر إلى ساندريه وارجنتيه . واعتقد ان حواء - فى الجنة - كانت فى منتهى الرشاقة . إذ كانت تعيش على ريچيم مدهش . فهى تفطر فواكه وتتغدى فواكه وتتعشى فواكه . ولاشك ان هذا الريچيم الطبيعى انعكس على مظهرها نضارة وسحرا وانوثة . لكننى اشك فى انها احتفظت بهذا القوام الجميل بعد الخروج من الجنة . إذ بدات تعرف البتلو والكندوز ولحمة الراس والفتة بالكوارع ففسد الريچيم بنهاية عصر الفواكه وبداية عصر المسبك والرمرمة .

ولاشك ان حواء فقدت نضارتها ونعومتها بعد الاقامة فى الأرض . إذ كانت مضطرة إلى مساعدة ادم فى العمل فامتلأت يداها . بالكاللو . وقدماها بالشقوق وتجعد وجهها قبل الأوان من التعب والهم وخلف قابيل وهابيل والخناقات مع ادم .

اما عن والدنا ادم فاظن انه كان يكبر حواء فى السن . فلا يمكن ان تكون حواء قد خرجت من ضلعه وهو طفل أو هو صبى . إذ لابد انها خرجت وهو مكتمل البنيان . ففارق السن الكبير محتمل جداً ويؤيد ذلك الانقياد العاطفى الذى ابداه والدنا انتهى بكارثة التفاحة الشهيرة !

ولا اظن ان حواء قد اغرت والدنا بقطف التفاحة لتاكلها او تطبخها كومبوت او تعملها مربى . فالجنة كانت مليئة بالتفاح والتفاح امامها فى كل مكان . ولهذا اعتقد ان زن حواء على راس ادم لقطف التفاحة المحرمة لم يكن مبعثه الرغبة فى اكلها . بل لكى تمتحن حبه الشديد لها واعزازه البالغ لشخصها الغالى ذلك ان المراة لا تكتفى برصيد الحب فى قلب الرجل . فهى فى حاجة إلى كلمات تؤكد لها وجود هذا الرصيد فى حاجة إلى افعال يقوم بها الرجل لتتحقق من ضخامة الرصيد العاطفى فى قلبه . فالحب عند حواء وكل حواء

بعدها افعال لا اقوال وليس مهما ان ينزل آدم إلى الأرض بل المهم ان يثبت أن ارصدة الغرام بخير فى قلبه وان حبه اقوى من كل شىء !

ومن حيث مادة الكلام فالذى لاشك فيه ان حواء فى الجنة كانت غيرها بعد الاستقرار فى الأرض ففى الجنة لم يكن عندها اى اخبار تحكيها عن الجيران والاقارب والمعارف ولم تكن هناك سيرة تمسكها او اخبار جديدة تستقبل بها آدم من الباب ولكن من المرجح انها كنت تحكى له انهماكها فى توضيب المكان الذى يقيمان فيه . ولابد انها كانت تتهمه انه فوضوى وغير منظم إذا داس فى حوض الزهور الذى تعبت فى تنسيقه او اقتحم ديكور اغصان اقامته وما إلى ذلك من الاخلال الرجالى بالنظام الذى تضعه ست البيت .

اما فى الأرض فاعتقد ان مادة الحديث قد اتسع مجالها اكثر وانهما على الاقل كانا يرددان فى كل خناقة ديالوج لايتغير ولم يتغير ولن يتغير بين كل آدم وحواء ماشاء الله .. هى تقول : انت السبب وهو يقول انتى السبب !

• • •

فى السينماتوغراف

تقدمت السينما عندنا وتطورت . فاختفى مرض السل الذى كان يداهم البطلة وحل محله السرطان . وانحسر مرض فقدان الذاكرة الذى كان يصيب البطل اكتفاء بأن المتفرج مريض دائم بفقدان الذاكرة ولايعرف اسم الفيلم الأميركى الذى نقلوا عنه الفيلم العربى نقل مسطرة . كذلك اختفى المنتج تاجر الخردة وحل محله منتج اكثر رقيا وهو تاجر الخيش . وتقلصت سلطات الموزع واصبح لايتدخل إلا فى حدود ضيقة مثل تعديل القصة والسيناريو والنهاية واختيار البطل والبطلة والمتفرج ايضا . فهو يطلب ان يكون البطل سباكا ليكون المتفرج سباكا ايضا . يملك القدرة الشرائية امام شباك التذاكر .

وتطورت القصة او الحدوتة السينمائية . فبعد ان كان اشخاصها البطل والبطلة والشرير والراقصة . اصبح هؤلاء الأشخاص الراقصة والشرير والبطل والبطلة . او الشرير والبطلة والراقصة والبطل . اما الحدوتة نفسها فقد روعى فيها - منذ اختراع السينما - ان تكون معروفة مقدما حتى لايغضب احد خصوصا الرقيب . فالموضوع الجديد يعرض الرقيب للمسئولية والمنتج

للافلاس والموزع لخسارة الصفقة . ورقصة فى كباريه مع غنوة مع خناقة كاراتيه ابرك واضمن من اى فكرة جديدة .

والحق أن السينمائيين حاولوا طرق باب الجديد والانفع والاجدى ولكن المحاولات تعثرت . ففى مشروع فيلم عن الزعيمة النسائية هدى شعراوى اقترح الموزع أن يقام حفل كبير لهدى شعراوى بعد اشتراكها فى أول مؤتمر نسائى عالمى وان تحيى هذا الحفل الراقصة . زوبة الكلوباتية . وتظل يرقص بالكلوب على راسها إلى أن تقع على الأرض مغمى عليها . ويقرر الطبيب ان زوبة الكلوباتية حامل وان زوجها هرب مع واحدة اسمها زكية العمشة . ومن هنا تبدا هدى شعراوى فى علاج هذه المشكلة الاجتماعية طول الفيلم الذى يشرح اهدار حقوق المراة وعذاب زوبة الكلوباتية فى مواجهة افعال ضرتها زكية العمشة .

لكن قيل ان الرقابة رفضت فكرة الفيلم .

فى مشروع انتاج فيلم عن الزعيم احمد عرابى غير الموزع القصة بفكرة اجمل وهى أن يبدا الفيلم بأن يتوجه البكباشى مراد ـ أحد مساعدى عرابى إلى الكباريه اثر أزمة عاطفية فيظل يسكر ثم يسكر حتى تتلقفه الراقصة المالطية تينا وتغنى له بالعربى حبيتك يا بن الايه . وتمضى قصة الحب بين تينا والبكباشى مراد طول الفيلم داخل الكبارية وتعرف أن السبب هزيمة عرابى هى تينا جاسوسة الانجليز .

لكن قيل ان الرقابة رفضت فكرة الفيلم .

وفى مشروع انتاج فيلم عن امير الشعراء أحمد شوقى . حفل السيناريو بمناظر باريسية واندلسية خلابة . لكن خلافا تافها دب بين المخرج والموزع . فالمخرج أسند دور أحمد شوقى إلى أحمد مظهر بينما صمم الموزع ان يقوم بالدور أحمد عدوية .

• • •

انـذارات غـرامـيـة

اطلعتنى شاعرة غنائية على اغنية لا اذكر نص مطلعها وانما هو قريب من هذا الكلام : فاكر نفسك مين تفوتنى فى عذاب وانين .. فكرك ح تروح منى فين دنا اضيعك فى غمضة عين .. وتمضى سطور الأغنية فى تهديدات غامضة . وواضح من سياق الكلمات ان ليس من بين هذه التهديدات الهجر أو الصد . بل الضرب والأذى وربما القتل .

ولم ادهش لهذا الاتجاه . فنحن فى عصر قتل الرجال ودفنهم فى الاكياس البلاستيك . وقد بدات بوادر هذه الموجة بداية غير واضحة فى الستينات عندما قالت ام كلثوم : للصبر حدود . إذ حملت كلماتها والحانها لهجة تهديد وان كان تهديدا بغير القتل . ثم جاءت مطربات الثمانينات باغان تصادمية مع الرجل فهذه تغنى اغنية اسمها « انذار » واخرى تغنى مش حتنازل عنك . والأرجح أن المعنى الذى ترمى اليه : مش حتنازل عنك إلا جثة .

والذى لاشك فيه ان هذه الأغانى ترمز إلى العصر الجديد الذى يسود فيه العنف النسائى فالاغانى ـ على مدى الزمان ـ تعتبر مؤشرا لمركز المراة وموقعها من المجتمع وعلاقتها بالرجل قوة او ضعفا .

خذ مثلا اغانى موسيقار الأجيال عبد الوهاب . ففى الزمن الذى كانت فيه المحبوبة اسيرة التقاليد خلف الأسوار كان عبد الوهاب يغنى لها من خارج الاسوار : مريت على بيت الحبايب وهو يصف اللحظة التى وقف خلالها يتطلع إلى البيت بانها « لحظة هنية » وذلك ان مجرد المرور بالبيت كان انجازا عاطفيا هاما . وهو بلاشك انجاز محفوف بالمخاطر . فلو اكتشف أهل الحى أو « أولاد الحتة » أن عبد الوهاب جاء للبصبصة لبيت بنت الحتة ـ البيت وليست البنت نفسها ـ فسوف يوسعونه ضربا اليما ويشيعونه رجما بالحجارة . إذ كان ذلك العصر هو العصر الحجرى للحب . وهو بعد ذلك يتمنى ويحلم بأن ياتى اليوم الذى تغادر فيه المحبوبة بيت الحبايب الذى يمر عليه . وأن يلتقى معها فى جلسة رومانسية فيقول عبد الوهاب : إمتى الزمان يسمح ياجميل واقعد معاك على شط النيل . ثم يتحقق الحلم وتجلس معه المحبوبة على شط النيل . فنراه يامل فى تنوع الجلسات الرومانسية على النيل وغير النيل فيهمس اليها : اسمح وقوللى يانور العين حشوفك إمتى واقابلك فين . ولأن العاشق طماع ولا يشبع من لقاء المحبوب . فنرى الذى كان يكفيه ويرضيه مجرد المرور على بيت الحبايب فيقول لها : أحب أشوفك كل يوم .

وزمان كان العاشق يبكي بحرقة إذا أحس أنه مهدد بفقدان الحبيبة ، ففي عصر الحرملك والأسوار والمشربيات كانت المراة عملة صعبة ، وكان من العسير الحصول على محبوبة أخرى للسلوى والنسيان ، غير أن تطور الزمن أعطى حرية الاختيار ، فنسمع عبد الوهاب يقول لا موش انا اللى ابكى لو جار عليا هواك ، والأغنية تدور حول هذا المعنى الدارج : مع ستين الف سلامة الباب يفوت جمل ، وهى لهجة جديدة لم يسبق لعاشق أن قالها من قبل ، ولكن الأزواج يقولونها كثيرا طبعا .

وفى الحرملك ، لم تكن المحبوبة تعرف القراءة والكتابة ولذلك كانت وسيلة الاتصال هى ، المرسال ، أى شخص يقوم بمهمة توصيل الكلام بين الطرفين ، ثم لما تعلمت المراة اصبحت تمثل عبئا على رجال البريد ، واعترفت هى بذلك وقالت : البوسطجية اشتكوا من كتر مراسيلى !

ومع الاختلاط فى الجامعة والعمل لم تصبح المراة هى العملة الصعبة النادرة ، فظهرت اغان تقول : ما تفكريش عشان بحبك مقدرش يوم استغنى عنك ، ثم مع العصر المادى ظهرت الأغانى التى تعبر عن حب المنفعة وزواج المصلحة فسمعنا اغنية تقول : بحبك لا .. محتاج لك اه ، وهى اغنية تسفر عن نفعية واضحة بلا خجل ، وانت تستنتج أن البنت التى يغنى لها الولد هذا الكلام عندها شقة تمليك أو أن اباها صاحب نفوذ : وزير ، أو أن أمها صاحبة فلوس : دلالة جمعية .

وهكذا يتغير منطق الاغانى وفقا لتطور العلاقة بين الرجل والمراة ، وليس غريبا بعد ذلك ان نسمع قريبا مطربة تغنى : اتشاهد على روحك ياخسيس نويت اعبيك جوه الكيس .

• • •

المأذون .. وعقبات أخرى !

يطالب معظم الشباب باستبعاد المأذون الشرعى من عملية عقد الزواج لأنه أصبح يشكل عبئا ماليا بسبب المغالاة فى اتعابه التى لاتتناسب اطلاقا مع الجهد الذى يبذله ، خاصة أن بعضهم يعتبره جهدا مؤذيا .

والشكوى من المأذون تبدو أمرا عاديا ، فبين معظم الناس وبين المأذون حزازات وضغائن اثر واقعة حدثت ، وهى واقعة معروفة عند الفلكيين بدخول زحل فى برج الجدى ودخول الرجل بيت الزوجية .

وفى رايى أن الشكوى من المأذون تحسب له ولا تحسب عليه ، فالرجل يبالغ فى الاتعاب ويفتعل التكاليف بهدف نبيل وهو أن يجعل طريق الانسان اليه صعبا ووعرا ، ورغم هذا كله فالانسان يسعى دائما إلى المأذون لأن النفس أمارة بالزواج .

فما من انسان إلا ويعرف عاقبة المثول بين يدى المأذون ، تلك العاقبة التى تتمثل فى رحلة طويلة تبدأ بأن يبحث كل طرف عما يسعد الآخر ، وتنتهى أحيانا إلى أن يستقر الزوج فى كيس بلاستيك وبئس القرار .

بل ان المأذون وتكاليفه واتعابه يعتبر أسهل العقبات فى طريق الزواج . فهناك المهر الذى هو رمز لاعزاز العروس ومكانتها فى القلب ، وهو ايضا امتحان فى القدرة على المسئولية والحماية والعطاء ومن نعم الله ان الذى يقبل على الزواج يكون عاشقا مخدرا بالهوى فلا يشعر بما يجرى له حتى يفيق بعد فوات زمان العسل .

فالرجل فى مسعاه إلى انشاء يكتب وثيقة رسمية بالتنازل مستقبلا عن كافة حرياته كحرية التعبير وحرية الرأى وحرية التجول خارج منزل الزوجية بعد ساعات العمل ، ولايبقى له من الحريات إلا حرية الاشارة من خلف ظهرها كأن يلوح بيده فى احتجاج الضعيف المقهور ، ولولا حذر الحب لما ارتضى العريس فى بعض قبائل الهند أن يرميه أهل العروس ـ حسب التقاليد ـ بالشتائم والاهانات ، وهو تقليد محمود بلا شك يهدف إلى تطعيم العريس وتعويده على طبيعة الحياة الزوجية ، وخدر الحب ايضا هو الذى يجعل العريس فى بعض قبائل الهند الحمر ملزما بتوريد الهدايا والعطايا إلى اسرة الزوجة حتى بعد سنوات طويلة من ليلة الزفاف ، وخدر الحب كذلك هو الذى يحتم على العريس فى بعض قبائل شرق افريقيا أن يخضع لطقوس الزواج ـ فيصارع نمرا أو فهدا

او أسدا حسب طلب اهل العروس ، وعادة يعود العريس محمولا على الاعناق إلى مدافن القبيلة .

وما من مجتمع ـ قديم أو حديث ـ إلا ويطلب من العريس أن يقيم الدليل على التكفل بعروسه بالنجاح فى سباق الحواجز والمصاعب ، لكن هناك دائما الشاب الذى يتطلع إلى زواج خنفشارى الطابع ـ نسبة إلى بلاد خنفشاريا ـ إذ يحكى أن رجلا قال لصديقه تصور انك فى خنفشاريا تستطيع بثلاثة دنانير أن تتزوج وتشترى كليو كباب وزجاجة شمبانيا ، ففكر صديقه لبرهة ثم قال : على كده تبقى الشمبانية مغشوشة .

• • •

ربنا يشفى

الاضطراب العقلى يجتاح العالم ، والمجانين انتشروا فى كل مكان ، ومعدل مرضى العقل وصل إلى واحد من كل اربعة أشخاص فى دول الغرب ، وفى الغرب والشرق هناك ملايين يعانون من دورة الاكتئاب الثابتة بسبب الفشل فى الحب ، وهناك ملايين يعانون من دورة الاكتئاب الثابتة بسبب النجاح فى الحب الذى ينتهى بالزواج ، فنتيجة الحب فى الحالتين سبب قوى للاكتئاب !

ولأن الانسان السوى أصبح فى ندرة الماس ، فقد نادوا فى بعض الدول بأن يكون من شروط ممارسة العمل العام أو دخول المجالس النيابية اجراء اختبارات نفسية وعقلية لابد أن ينجح فيها المرشح للوظيفة أو المجلس والاقتراح نافع ومفيد ، غير ان هذه الاختبارات ـ فى رأيى ـ لو تم اجراؤها فقد يتعذر فى بعض البلاد ايجاد العدد المطلوب لتسيير الدولة .

ثم ان تطبيق هذا الاقتراح سوف يجعل المرشح الذى سبق له دخول مستشفى الأمراض العقلية فى وضع أفضل ، إذ سيكون معه شهادة رسمية بانه عولج واصبح عاقلا ، وبذلك تكون فرصة خريج مستشفى الأمراض العقلية أفضل من فرصة من لم يتم فحصه .

وإذا اتيح لك أن تقلب فى برقيات وكالات الأنباء فسوف تكتشف أن الجنون أصبح سمة العصر !

ففى أميركا ـ مثلا ـ اختار عريس أن تكون منصة زفافه على سقالة متحركة خارج نوافذ ناطحة سحاب ضخمة ، إذ جلس إلى جوار عروسه وهما مربوطان

بالأحزمة بينما وقف المدعوون بباقات الزهور فى الشارع يتطلعون إلى العروسين المعلقين فى الدور الثلاثين ، ومن المؤكد أن هذا العريس يثبت ـ بما لايقبل الشك ـ ان الاقدام على الزواج لايحتاج الى اى عقل .

وفى اميركا أيضا أقيمت مسابقة لمن يضرب رقما قياسيا فى السعال ، وفاز فيها شاب ظل يكح لمدة أربع وعشرين ساعة متواصلة !

والذى يقرأ صفحات الاعلانات الصغيرة فى الصحف الأميركية او الانجليزية يستطيع أن يشعر بمدى ما وصل اليه العالم المعاصر من بدنجان .

هذا مثلا إعلان نشر فى صحيفة اقليمية بتكساس : نحن ندعوك إلى زيارتنا لترى بنفسك كم هو مريح التابوت الذى ستنام فيه النومة الأبدية شعارنا : الابتسامة وفى صحيفة بولاية اوريجون نشر هذا الاعلان الذى يستهين بذكاء الزبون ويعتبره غبيا :

لماذا تذهب إلى مطعم آخر ليغشوك مادمت تستطيع أن تأتى إلى مطعمنا ؟

واذا كان علاج المجانين عند الأطباء العقليين والنفسيين ، فلنحاول أن نستشف من الاعلان التالى مدى السلامة العقلية عند أطباء العقل والنفس : يعقد نادى الأطباء النفسيين اجتماعه الأسبوعى يوم الأربعاء الساعة الثالثة للتدريب على المواجهة بالمسدسات عند اللزوم .

وهذا الاعلان يرفض فيه المعلن الكشف عن اسمه :

انا مستر × عميل فى صالون حلاقة جونزسبونر . أرجو منه ألا يأكل الثوم قبل أن يحلق لى شعرى وأن يكف عن أحاديثه المملة أثناء الحلاقة .

وهناك اعلانات صغيرة تتنوع فيها درجة الخلل العقلى :

سيدة فى السادسة والثمانين تطلب عملا لمحدثة لبقة .

انا س . ب ف أعلن اننى تركت بيت الزوجية وسددت جميع الفواتير المطلوبة منى حتى الأحد الماضى وأخذت معى السرير الذى أهدته لى أمى .

وفى نفس العمود :

انا مسز س . ب ف أعلن أن زوجى هرب من البيت يوم الأحد الماضى وسرق السرير .

ثم هذا الاعلان :

مقعد حب ، لف سيت ، لشخصين من نسيج الكانافاه للمقايضة بمقعدين منفصلين بعد أن أصبح مقعد الحب لا لزوم له .

ثم ادع الله أن يشفى ذلك الجنتلمان الذى نشر هذا الاعلان :

انا الجنتلمان الذى رفس السيدة فى المسرح وأرجو منها أن تقبل اعتذارى .

فانا مهذب جدا والدليل على ذلك اننى صعقت بعد ان رفستك ياسيدتى فلم استطع ان أقدم اعتذارى فى حينه وارجو ياسيدتى أن تتاكدى اننى لست معتادا على الرفس واقسم اننى لم ارفس اى سيدة منذ ان انفصلت عن زوجتى .

• • •

سيجارة من فضلك .. !

لم اهجر الـ جارة لما قيل انها تسبب الشيخوخة المبكرة . كلا فارغ طبعا . فالانسان يمكن ان يعيش فى شباب دائم مع السيجارة لو حرص على شيئين : أن يكذب فى سنه وان يصبغ شعره .

كذلك لم اهجر السيجارة انسياقا وراء حكاية سرطان الرئة فاننى لا اتصور كيف يمكن أن تكون حياة الانسان لو انساق وراء كل ماقد يطلع به علينا العلماء من ان الأكل يسبب سرطان المعدة والمشى يسبب سرطان القدمين والشم يسبب سرطان الانف والحلاقة تسبب سرطان القفا .

بل ان تاريخ الرجل مع السيجارة ملىء بالتضحيات من اجلها . فعند بداية انتشار التدخين كان المجتمع السويسرى ينظر الى الرجل المدخن باعتباره فاسقا وغشاشا وخرب الذمة والاتقبل شهادته امام اى محكمة كالقرداتى ورغم ذلك رضى الرجل السويسرى بكل هذا الهوان فى سبيل السيجارة .

وفى بعض ولايات المانيا كان قطع الانف هو العقوبة التى تنتظر اى رجل يضبط متلبسا بالتدخين . ومع ذلك كان الالمانى الذى تم قطع انفه يعاود التدخين بمنتهى الاطمئنان لأن الانف الذى نص القانون على قطعه قد قطع فعلا !

وفى تركيا كانت عقوبة المدخن ان يشد وثاقه وفى حفل غير عائلى وغير بهيج يتجمع الناس للفرجة على ادخال الشوبك الذى يدخن فيه داخل انفه حتى يدمى ويعلن باعلى صوته على الملأ انه تاب عن التدخين .

وبينما جردت حكومة انجلترا حملات متواصلة على المدخنين . اصدر البابا فى الفاتيكان امرا كنسيا بتحريم التدخين .

وذهب هذا كله وبقيت السيجارة !

غير انى قررت ان اهجر التدخين تحديا لصديقى الجراح الشهير الذى كان

قد أعلن بيننا اقلاعه عن التدخين واتهمنى اننى عاجز وضعيف أمام السيجارة فرايت أن أقدم الدليل على ان ارادتى فولاذية . وبعد اربع وعشرين ساعة من امتناعى عن التدخين شعرت ان فى داخل دماغى مدينة ملاهى : شىء يدور من اليسار الى اليمين وشىء يدور من اليمين الى اليسار وشىء نازل وشىء طالع ولم اعد أعرف ما يجرى داخل جسمى من عمليات كيميائية وفسيولوجية نتيجة الانقطاع الفجائى عن تدخين مائة وعشرين سيجارة فى اليوم .

وفى اليوم الثالث احسست اننى مشتاق اليها وعندى لوعة وحالتى هباب . وبدأت اتعرض للحظات رهيبة من الضعف شعرت معها ان المعركة بينى وبين السيجارة غير متكافئة . فان تاثير غيابها عنى يزداد عنفا فى نافوخى وجهازى العصبى وكيانى كله . بينما هى لاتشعر بى ولا يعنيها أمرى سواء اقتربت منها او ابتعدت وقلت لنفسى : يحسن بك أن تعترف انك ابله . فانت أشبه بالعاشق المبتدىء الساذج الذى يتحدى غانية تمرست بتجارب الليالى .

كان غيرى أشطر !

فان مارك توين يقول ان الاقلاع عن التدخين مسالة سهلة جدا بدليل انه اقلع عن التدخين عشرين مرة ان حواء تسببت فى طرد آدم من الجنة إلى الدنيا ومع ذلك لم يحاول آدم الخلاص منها . والسيجارة تتسبب يوميا فى طرد آدم من الدنيا إلى الأخرة ومع ذلك لم يحاول ايضا الخلاص منها .

وما اشبه السيجارة بحواء . نفس السحر الغامض والمثير الذى يصعب الخلاص منه وتعز مقاومته .

لكن رغبتى فى ان تكون ارادتى فولاذية امام صديقى الجراح الشهير جعلتنى اقاوم . وكنت ادعو الله ليل نهار الا تنجلى التجربة عن ان ارادتى من البسبوسة وليست من الفولاذ بينما الجراح الشهير كان يؤكد لى ان البسبوسة على شىء من الصلابة والتماسك ولا يصح أن اشبه بها إرادتى المهلبية !

وشملت توسلاتى الى الله ان أواصل التحدى وان أدحر صديقى الجراح الذى كان يبدو فى حالة بهجة دائمة رغم انقطاعه عن التدخين بينما انا فى هم مقيم .

ومرت تسعة ايام ثقيلة عادت بعدها الابتسامة الى حياتى فى اليوم العاشر . فقد زال الكرب وحان لى أن آتيه وازهو وسط الأصدقاء بقوة ارادتى وكيف قهرت السيجارة التى لاتقهر !

— ولاسيجارة ؟

— ولاسيجار .

— بايب ؟

— أبدا .

— استعضت عنها بالارجيلة ؟

— اطلاقا

وتلقينا ـ الجراح الشهير وانا ـ تهانى الاصدقاء على هذا الانجاز الصحى الضخم الذى حققناه ، واصبحنا القدوة والنموذج العظيم لاهل الحكمة والارادة القوية .

وفى اليوم التاسع عشر التقيت فى أحد شوارع اثينا بصديقى الجراح الكبير ، وكان فى كل منا سيجارة لم يفلح فى القائها بسرعة قبل أن يراه الآخر . فطوال تلك الفترة وكل منا يدخن سرا من خلف ظهر الثانى فقد اكتشفنا ان الاقلاع عن التدخين له نهاية مريحة جدا هى العودة إلى السيجارة !

لكننى هجرت السيجارة فعلا ليس بامر الطبيب ولا بقوة الارادة ، بل ببركة دعاء الوالدين .

وتلك قصة اخرى .

• • •

.. وبركة دعاء الوالدين !

بعد عشر سنوات من المحاولة الاولى للاقلاع عن التدخين نجحت فى قهر السيجارة الى الابد ! وتلقيت دعوات لاتحصى من المنتديات والجمعيات لاشرح كيف تحقق لى النصر فى تلك المعركة الشرسة وكيف صنعت ارادتى الحديدية المعجزة !

وكنت اعتذر محتجا بان من الغرور وثقل الظل ان يتحدث انسان الى الناس عن ارادته الجبارة فى تحقيق هذه المعجزة .

والحقيقة التى لم افصح عنها اننى لم اقم باى جهد ، فلا هى معجزة ولاهى مذهلة ، والمسالة كلها تعود الى بركة دعاء الوالدين ، واكون كاذبا اذا ادعيت ان ارادتى فولاذية ، وانتى قلت للسيجارة لا فكانت هى لا ، ثم لكى تكون ارادتى فولاذية يجب ان تكون لى اولا ارادة استعملها . فالمتزوج عادة لايعتمد على ارادته ، بل ان الزوجة تتخذ كل القرارات لتريح ارادة زوجها من العمل وذلك من باب التعاون الزوجى ، وقد تحقق للعديد من الأزواج الاقلاع عن التدخين بفضل ارادة الزوجة التى ترى عادة ان مصاريف السجاير ينبغى أن تضاف الى مصروف يدها .

غير أن زوجتى لم تمارس اى ضغط والحق يقال ، والحكاية اننى اصبت بنزلة برد حادة منذ سبع سنوات ورأى الطبيب ان استنشق بخار الجاوى

لتنشيط التنفس ، ولم أكن اعرف أن بخار الجاوى هذا له رائحة فاقعة تعذب كثيرا كثيرا ، وادهشنى اكثر ان هتلر لم يستخدمه فى غرف التعذيب ، فما لبثت اعصاب الشم عندى ان اختلت ، او ان رائحة الجاوى التصقت بهذه الاعصاب ، فاية رائحة اشمها تترجمها مراكز الشم فى المخ الى جاوى ، السيجارة جاوى والبنزين جاوى ، والزبالة جاوى ، والكلونيا جاوى ، وتراجعت مشكلة السيجارة وبرزت مشكلة انفى ، إذ أصابنى الجاوى بما يشبه عمى الشم ، وانتهزت زوجتى الفرصة واخرجت زجاجة عطرها المفضل ، وهو عطر يسبب لى صداعا رهيبا بمجرد شمة ، والسبب حساسية وليس ثمن العطر .

وقد استدعى ذلك العمى الشمى الذى طال أمده ان اتردد على طبيب انف واذن وحنجرة ، فكان يغمض عينى ويمرر بقطنة صبغة يود تحت انفى ثم يسالنى ماذا تشم ، فاقول له هذه رائحة جوافة ، ثم تحسنت واصبحت أميز ـ بشىء من الجهد ـ رائحة الورد البلدى من السمك المشوى .

ولولا بخار الجاوى لما تهيات لى ابدا فرصة الاقلاع عن التدخين . فلقد اصبحت نصائح الاقلاع عن التدخين تجارة رابحة إذ هناك كتب لاحصر لها مثل اطفىء سيجارتك الآن وداعا للسيجارة .. الى الآخرة ، وهى كتب حققت الغرض منها فملأت جيوب مؤلفيها بفلوس المدخنين الذين لم يقلعوا عن السيجارة . وفى أميركا رايت معاهد ترويض المدخن على فراق السيجارة حتى يقلع عن التدخين خلال أسبوع واحد مقابل خمسمائة دولار ، وهى فعلا تشفيك من السيجارة خلال أسبوع لكنك ستعود الى السيجارة فى لحظة انفعال ندما وحزنا على الخمسمائة دولار .

ولااظن ان هناك طريقة علمية مؤكدة للاقلاع عن التدخين أو الاقلاع عن حب شخص ما ، فالسيجارة مثل المراة المعشوقة التى استولت على كيان رجل واصبح هواها فى دمه وهو فى تمرده على اذلالها له يلجأ للآخرين طلبا للراى والمشورة ، متمنيا أن يشيروا عليه بما يوافق هواه وغرامه بها ، فالعاشق الذى يستشير الآخرين ينفذ غالبا مايريده هو : ما أحلى الرجوع اليها ، بينما العاشق الذى ينوى حقا التحرر من حب لايستشير أحدا ، بل يفعلها فى صمت واصرار ، فطلب النصيحة هو مجرد « مماطلة » أو تماحيك ، والذين يقدمون النصائح فى كتب الاقلاع عن التدخين يشبهون تماما الرجل الذى وقف مع مساعده فى الشارع يبيعان الدواء العجيب الذى يطيل العمر حتى ٤٠٠ سنة ، ويزعم البائع للواقفين حوله انه شخصيا بلغ من العمر ٣٦٠ سنة بفضل تعاطيه الدواء العجيب الذى يبيعه ، فلما سألوا مساعده هل صحيح ان

البائع عمره ٣٦٠ سنة ؟ أجاب قائلا بانه لايعرف لانه يعمل مساعدا له منذ ١٥٠ سنة فقط

• • •

أهل الرجيم .. !

ما أن اقلعت عن التدخين حتى قفز وزنى فى أمد قصير من سبعين كيلو الى ثلاثة وثمانين كيلو . فنصحونى بالذهاب الى اخصائى فى علاج السمنة امتدحوه كثيرا . وعندما رأيت ذلك الطبيب الكبير ارتفعت معنوياتى ، فقد كان كبيرا فعلا يزن حوالى ١٤٠ كيلو وبدوت غزالا رشيقا بالنسبة الى حجمه ، لكنى علمت أن أطباء علاج السمنة ليسوا جميعا على هذه الصورة ، فالكثير منهم يزن ١٢٠ كيلو فقط .

كان الطبيب يتنفس بصعوبة من فرط ما يحمل صدره من شحم ولحم وهو يحذرنى من أن السمنة معناها تصلب الشرايين والسكر وحصوة المرارة وتعب عضلة القلب ، وما ان نطق الطبيب بهذه الكلمات حتى لهث من المجهود الذى بذله فى نطقها ، وجلس يلتقط انفاسه ، ثم كتب الطبيب لى رجيما قاسيا لابد أن اتبعه وعرفت أن الرجيم القاسى لايضايقك ابدا اذا كنت أنت الطبيب الذى تكتبه للآخرين . كان الرجيم مجرد خضراوات مسلوقة ، لكنه اتاح لى الحرية فى الاختيار ابتداء من الفاصوليا حتى البرسيم .

فى الحديث عن الاتعاب قال لى الطبيب ان كل كيلو انقصه سوف ادفع مقابله ٢٠ جنيها . وكل كيلو ازيده عن الوزن الذى جئت به للطبيب سوف ادفع عليه ٢٥ جنيها ، وثبت لى بذلك ان لحمى أغلى من البتلو . ونصحنى الموسيقار الكبير الامبراطور عبد الوهاب ان استعمل قوة الارادة ولا الجأ الى طبيب ، ودعانى الى ان أجرب أكل الرجيم الخاص به ، واستأثر هو بالفرخة المسلوقة ، أما طعام الرجيم الذى دعانى الى ان اجرب قوة ارادتى فيه ، فالطبق الأول منه لم اتبين هويته هل هو أرز . كلا ليس ارزا . لحم مفروم ؟ اللحم المفروم لونه معروف وطعمه ايضا هل هو شوفان او كويكر أو تس ؟ ابدا .

— ما هذا يا امبراطور ؟

— قال الامبراطور : كل .. كل هذا شىء مفيد جدا .

مضيت أكل ذلك الشىء حتى استقر رأيى على انه نشارة خشب وهذا يبدو واضحا . فكرت ان اضع عليها كتشب لكن الأستاذ عبد الوهاب قال إن

الكتشب لايتمشى مع الرجيم وعاد يقول : كل .. كل بالهنا والشفا بينما كان الاستاذ عبد الوهاب منهمكا فى الفرخة المسلوقة كنت أحاول ابتلاع نشارة الخشب بصعوبة بالغة ممكن يكون لها طعم أخر لو رششت عليها « مية طرشى » . ناديت السفرجى : هل أجد عندك مية طرشى ؟ ارتفع صوت عبد الوهاب مستنكرا : اعوذ بالله .. مية طرشى ؟؟؟ اقترح الأستاذ عبد الوهاب أن أعصر على هذا الشىء الذى أكله ليمونة ، عصرت ليمونتين . لكن النشارة وقفت فى حلقى .

كدت أقول له اديني حتة من فرختك وخلصني وكأنما أحس بنوايای فبادر يقول للسفرجى : هات له الكفتة . أكلت من الكفتة واحدة ثم اثنتين . انها بلا طعم ولا رائحة . معقول هذه كفتة ؟ ؟

سألنى الأستاذ عبد الوهاب : لذيذة .. مش كده ؟؟

لم أملك إلا أن أقول : جدا . فامر السفرجى بأن يعد لى ربطة من الكفتة أخذها معى لتكون وجبة العشاء ، وقد رحبت بذلك أملا فى معرفة أصل هذه المادة التى أكلها والتى ليس لها بالكفتة اية صلة . غير أن قريبى الكيميائى رفض أن يحللها مكتفيا بانه واضح جدا من طعمها انها قش مضغوط .

تعلمت من الأستاذ عبد الوهاب الدرس الأول فى قوة الارادة . فهو يستمتع برائحة الطعام المسبك دون أن يأكله .. يميل على دفية البامية ويستنشق رائحتها مبهورا ثم يأكل الخضار المغلى .

ولكى اثبت لنفسى قوة الارادة وضعت أمامى على المائدة فى البيت فتة بالخل والتوم ، والى جواره طبق الخضار المغلى الذى سأتناوله وبدأت انشق رائحة الفتة . وشعرت فى النهاية بالراحة بعد الصراع ، فقد أكلت طبق الفتة .

وأدركت كم هو بائس الانسان الذى على رجيم فى بلادنا ، فهو يتعرض لحرب كيماوية رهيبة تتمثل فى استنشاق تقلية الملوخية أو فتة بالخل والتوم ، وهى غازات تدمر مراكز الرجيم فى المخ وتحدث شللا فى عصب الارادة فينهار الانسان . مع ملاحظة أن هذه الغازات عديمة التأثير على الانسان الأوربى ومن هنا جاء القوام رشيقا فى النساء والرجال .. ذهبت الى الطبيب بعد أسبوع ، فوجدت الطبيب قد زاد خمسة كيلو !

هل يمكن احترام الرجيم فى بلادنا ونحن نحفل بالأكل على هذه الصورة ، فجعلنا منه مظهرا للاحتفال بالمناسبات ، واعتبرنا الأكل رمزا للصفاء والمودة فحلفنا وحياة العيش والملح ، وحتى اغانينا حشوناها بكل الوان الطعام ابتداء من اكلها جبنة وزيتون وتعشينى بطاطا الى : وانشا الله أكل أنا عيش حاف .. !

ذهبت الى الطبيب فى الأسبوع التالى وانا اعرف اننى قد زدت كيلو . لكننى لم اجد الطبيب . فقد نقلوه الى مصحة فى الخارج للتخسيس . وعرفت انهم حبسوه فى غرفة حتى لايصل اليه اى طعام . وبات يعيش على الماء فقط وساءت حالته النفسية تماما . وبدأ اصدقاؤه يرسلون اليه الزهور والورود ليبثوا فيه روح التفاؤل والأمل . وتحسنت حالته بتوالى ارسال الزهور . وتبين انه كان ياكلها .

بعد شهور نقص وزنى كيلو وراء كيلو دون طبيب ولا رجيم . فقد اكتشفت طريقة نسم البدن : الجلوس أمام التليفزيون .

• • •

من الخشب الى الذهب وبالعكس !

يحتفل الانسان بعيد زواجه الفضى بعد خمس وعشرين سنة . وبالعيد الذهبى بعد خمسين سنة . وعندما يحل العيد الماسى يكون كل من الزوجين قد حمل غالبا لقب المرحوم . أى رحم الله كل منهما من الآخر !

وفى اثناء زيارة للولايات المتحدة اكتشفت أن هناك عيدا للزواج كل سنة من السنة الأولى حتى العاشرة واسماؤها بالترتيب .. العيد الورقى . العيد القطنى . العيد الجلدى . العيد الكتانى . العيد الخشبى . العيد الحديدى . العيد الصوفى . العيد البرونزى . العيد الخزفى والعيد القصديرى . ثم يحتفلون بالعيد كل خمس سنوات بعد ذلك . ففى السنة الخامسة عشرة العيد البللورى . وفى العشرين العيد الصينى وفى الخامسة والعشرين الفضى وفى الثلاثين العيد اللؤلئى . وفى الخامسة والثلاثين العيد المرجانى . وفى الأربعين الياقوتى . وفى الخامسة والأربعين السفيرى . نسبة الى الياقوت الأزرق - وفى الخمسين الذهبى . وفى الخامسة والخمسين الزمردى . ومن الستين الى الخامسة والسبعين الماسى !

والحقيقة أن اسماء هذه الأعياد - وبالذات من الأول الى العاشر - حيرتنى كثيرا فى البداية . ثم بعد امعان وجدتها تفسر نفسها بنفسها . فلا شك أن العيد الورقى فى السنة الأولى هو عيد توقيع تلك الأوراق التى يتم بها تحديد اقامة الطرفين فى مكان واحد . وليس من المحتمل - كما قد يفسر البعض - ان الرجل بعد تجربة سنة زواج يرسل اليها ورقتها فى العيد الورقى .

واستبعد أن يكون العيد القطنى - فى السنة الثانية - له صلة بالقطن

الطبى الذى يستعمل لتطبيب الجروح اثر الاشتباكات القتالية فى البيت . فالوقت مبكر لمثل هذه المعارك الدموية .

اما عن السنة الثالثة - العيد الجلدى - فمن المرجح أن الانسان المتزوج تحدث له فى تلك السنة تغيرات جلدية . فيبدأ الغلاف الخارجى للوجه فى اتخاذ فورمة الزواج كالبوز الضارب والشفاة المطوطة فى اشمئناط وتكشيرة الجبهة .. الى اخره .

ومن المؤكد ان العيد الخشبى وثيق الصلة باستعمال المنتجات الخشبية للدفاع عن النفس . كالعصا والقبقاب الحريمى ذى الفيونكة . يؤيد ذلك أن العام الذى يليه هو العام الحديدى . إذ نرى هنا تطورا من الخشب الى الحديد حيث يحتاج الحديد فى هذه المرحلة الى رخصة سلاح .

وفى العام السابع يتبدد غالبا دفء الزواج ويبدأ الرجل فى الاعتماد على الحلول الذاتية للتدفئة كلبس الصوف . وذلك هو العيد الصوفى . واذا كان العيد العاشر هو العيد القصديرى أى الصفيحى فلا شك أن صمود الاثنين فى المعارك الطاحنة بينهما حتى العام الخامس والعشرين هو عيد فضى يستوجب الاحتفال بنجاة كل منهما من يد الآخر .

ولأن الانسان ميال الى خداع نفسه . فانه يتعمد أحيانا الا يسمى الأشياء باسمائها فالتسمية المنطقية التى ينبغى أن تطلق على كل عيد زواج هى أن يقال مثلا فى العيد الثامن : الذكرى السنوية الثامنة للحب طيب الله ثراه !

• • •

الكرسى الكهربائى

زارنى شاب من اقربائى يرجونى أن أقنع عروسه بأن تتخلى عن التقاليد البالية فى اقامة الفرح مع استعداده لوضع نفقات الفرح رصيدا باسمها فى البنك .

ثم سالنى : باله عليك ما معنى أن أمشى فى زفة ومن حولى الراقصات وما معنى أن اجلس فى كوشة محاطة بالورود ، وما معنى هذه الكوشة نفسها .

وسرحت بخواطرى : حقا ما معنى هذه الكوشة ؟ انها ليست إلا قفصا للفرجة عليك ياولدى وكأنك فى حديقة حيوان وهى قفص لاينقصه غير لافتة مكتوب عليها هذا العريس موطنه المكان الفلانى ـ تم صيده يوم كذا ـ ويتم ابتداء من الليلة استئناسه ليصبح اليفا .

ولم أقل لقريبى العريس ان عنده حقا فيما يسعى اليه . فالهدف من الفرح هو تحقيق ركن العلانية فى الزواج ليعرف الكافة فى كل مكان أن فلانة قد تزوج من فلانه . ولو اننا استبعدنا الفرح فسوف يتحقق ركن العلانية ايضا ويعرف الناس ان فلانا قد تزوج فلانة عندما يسمعون الزعيق الذى يصدر عن الشقة بعد شهر العسل .

لذلك يمكن الاستغناء عن الفرح بنشر صورة العروسين وكل منهما يسقى الآخر الشربات من كاسه وهذا يرمز الى أن كلا منهما سيسقى الآخر من كاس الزواج .

هل هذا الشاب جاد فى ثورته على التقاليد البالية التى تبدد المال بلا مقتض على الأفراح والليالى الملاح حتى ولو كان كذلك .. لماذا لايضحى ويسعد خطيبته بالفرح والجلوس فى الكوشة ويسعد معه الآخرين أيضا .

ان التطلع الى عروسين يجلسان فى الكوشة أمر يسعد كل امرأة ويذكرها بليلة العمر ، ويسعد الأمهات والآباء وهم يتمثلون ابناءهم وبناتهم فى تطلعاتهم الى العروسين ، كما ان بعض المدعوين من المجربين والحكماء يجدون متعة فى التطلع بكثير من الحيرة والدهشة الى رجل يتزوج طواعية .

والأرجح ـ قلت لنفسى ـ ان المسالة ليست مسالة تقاليد يحاول العريس أن يقاومها ، فلعله يخشى الجلوس فى كوشة الزفاف تجنبا للمشاعر والأفكار التى انتابت عرسانا من قبله فغافلوا العروس وهربوا من الكوشة وكتبت لهم حياة جديدة .

ولعل هذا هو الهدف الرئيسى الذى كان ينشده مخترع الكوشة : الذى يهرب منها لايصلح للزواج والذى يصمد فيها هو الزوج الصالح ، فالعرسان فى الدنيا كلها يتعرضون بشكل او باخر لعمليات اختبار قاسية تمتحن خشونتهم ومدى

تحملهم للمسئولية باعصاب هادئة متزنة . ففى شبه القارة الهندية مثلا مجتمعات تحرص على شتم العريس بالفاظ مقذعة وهو يواجه هذا كله بالابتسام للتدليل على أن أعصابه قوية ومؤهلة لأخطار الزواج . وفى جزيرة بالى يخطف العريس عروسه بشكل رومانسى وينتهى به الأمر غالبا بنقل العريس الى عنبر الكسور . وفى مجتمعات افريقية يضربون العريس بالسهام غير السامة حتى يخرجوا الشيطان من جسمه ويصبح ابن حلال . وفى مجتمعات أخرى يطلقون على العريس أسدا أو فهدا لاختبار قوة احتماله . وكثيرا ما يحتفلون بهذا العريس بعد ذلك احتفالا مهيبا فى مدافن الأسرة .

• • •

شـــواربـه !

كان الرجل زمان يوصف بانه له شوارب يقف عليها الصقر !

وعندما اكتشفت المراة ان الأرنب له شوارب أيضا لم تعد تخاف شوارب الرجل فواجهته بالساطور والسكين وذبحته ذبح الأرنب ! ومنذ أن ظهر « الشنب » تحت أنف الرجل وهو مشكلة . فعندما طال شارب الانسان البدائى أكثر مما ينبغى كان هذا الشارب أسهل وأقرب موضع تجره منه المراة ساعة الخناق . وتلا ذلك عصور استنكرت فيها مجتمعات ظهور الشارب فى وجه الرجل واعتبرته من علامات البلاهة والشذوذ العقلى مثل تاليف المسلسلات . وحتمت مجتمعات أخرى ازالته بقوة القانون . واعتبر الرومان ظهور الشارب بدون لحية عند الفرنسيين من سمات الهمجية والتخلف . وعندما انتشر الشارب المبروم بالكوزماتيك فى العصور الحديثة كان ذلك بقصد اتخاذ مظهر سبع البرمبة وارهاب المراة تقليدا للولاة والحكام العثمانيين الذين كانوا يرهبون الناس بالشوارب البريمة التى يقف فوقها الصقر !

وقد ثبت أن الرجال لايملكون من أمر شواربهم شيئا . فما وجد شارب فى وجه رجل إلا برضا امراة ولا ازيل شارب إلا برغبة امراة . ففى انجلترا كان هناك قانون سائد منذ العصور الوسطى حتى القرن الماضى يمنع اطلاق الشوارب . فلما احبت الملكة فيكتوريا الأمير البرت بشاربه الأشقر المسبسب . صدر قانون يمنع العسكريين فى الجيش الانجليزى من حلق شواربهم اكراما لشنب المحبوب !

ورغم استنكار الرومان للشارب إلا أن كليوباترا لو كانت قد طلبت من انطونيو اطلاق شاربه لاستجاب على الفور . لكن الملاحظ أن كل مشاهير العشاق فى التاريخ

بدون شوارب مثل انطونيو فالنتينو وكازانوفا وروميو ودوق وندسور . غير ان النساء اذواق ومذاهب . فهناك امراة مصابة بهوس النظافة وترى ان الشارب يجب ازالته والقاؤه فى الزبالة . واخرى فيها ذكاء ترى الابقاء على شارب زوجها حتى يتوهم انه سبع البرمبة وسى السيد صاحب الأمر والنهى .

اما بعيدا عن الجنس الآخر . فان اطلاق الشارب او ازالته تعتبر مسالة ذوق واستحسان . فهناك انسان يتصور ان تناسق ملامحه لايكتمل إلا بالشارب بينما يرى انسان آخر وجوب ازالته خصوصا اذا كان هذا الانسان ست .

• • •

ســـاطوريات !

لا اظن ان النساء اللاتى يقتلن ازواجهن ذبحا يشكلن ظاهرة تثير القلق . فلا تزال المراة هى المراة التى عرفها الرجل : العاطفة والدفء ومنتهى النعومة والبسمة الحلوة وهى تجلس امامه الى المائدة وهو يتناول الكفتة التى دست له فيها السم .

والرجل ينفرد بجريمة اشد بشاعة من الذبح بالساطور وهى جريمة الاغتصاب التى لاترتكبها المراة ابدا .

كذلك هناك جريمة ارتكبها شاب ياباني إذ أحب طالبة هولندية ثم ذبحها واكلها ونحن حتى الآن لم نسمع عن امراة اكلت رجلا . فكل النساء والحمد لله من هذه الناحية نباتيات .

ويدل استقراء الاحصائيات ان الجريمة النسائية تمثل اقل من ٣ [illegible] مجموع الجرائم فالعاطفة هى المحرك الأول للجريمة عند المراة إذ ان الجرائم النسائية التى تتصدر الاحصائيات شهادة الزور من اجل حبيبها . والقتل بالسم غيرة وانتقاما . وخطف الأطفال لتشبع أمومة حرمت منها علما بان الأطفال الذين تخطفهم النساء بينهم دائما عدد كبير من الرجال !

ان علينا ان نبحث بكثير من الانصاف عن الاسباب التى تدفع امراة رقيقة على التحول الى جزارة تذبح الرجل وتقسم لحمه الى بفتيك واسكالوب وفيليه . والسبب الأول فى رايى ان الرجل يعتبر البيت مكان راحة واسترخاء بينما الزوجة تعتبره مكان عمل . وقد ادى خروج المراة الى العمل إلى انها اصبحت تعمل ورديتين متعاقبتين خارج البيت ثم داخل البيت مما يشكل ضغطا عنيفا على جهازها العصبى . وقد بات واجبا على الرجل اثناء وجوده فى البيت ان يتخلى عن ارتداء ملابس الاسترخاء التى تريحه وان يرتدى الملابس التى تريح زوجته وهى مربلة المطبخ .

والسبب الثانى ان الزوجة مع هذه الضغوط العصبية لاتجد من جانب الزوج همسة الحب او لمسة الحنان وقد اعتادت هذا الجفاف العاطفى لدرجة ان صديقا دخل البيت وقبل زوجته واقترح عليها ان يقضيا الأمسية فى مطعم ثم قبل يدها وربت عليها . فانسحبت بهدوء ودخلت الغرفة تطلب امها فى التليفون وهى تبكى : ماما .. محمود اتجنن .

والسبب الثالث ان الزوجة التى تقوم برعاية الأولاد والطهو والنظافة وادارة البيت تقوم ايضا فى وقت فراغها بمهام ثقيلة وهى تسلية الزوج والحديث من طرف واحد الى شخص نكدى وغير مسل بالمرة . الأمر الذى يفضى بها فى النهاية الى ان تتصرف بحماقة . او تقلد تلك الزوجة التى غاب زوجها فابلغت اوصافه الى الشرطة بانه طويل القامة كثيف الشعر بينما هو قصير واصلع حتى لايعثروا عليه .

• • •

قــر ، يقــر !

تعيب على بعضهن اننى اسخر من الزواج .

وليس صحيحا اننى اضحك او اسخر من الزواج . المسالة هى اننى اعتدت أن ابتسم امام الكوارث . فللزواج سبع فوائد . واهم ميزاته الاستقرار . وهو يوصف بهذه الصفة بالذات لأسباب كثيرة اهمها :

اولا : ان كلا من الطرفين يستقر نفسيا بعد اختيار شريك الحياة بشكل نهائى . ويبدا كل منهما مرحلة التفكير بهدوء ليحصى اخطاء هذا الاختيار .

ثانيا : ان كلا من الطرفين يستقر على راى لابديل له وهو أن يؤهل نفسه لمعاشرة انسان من الصعب التكيف معه بسهولة بعد اكتشاف حقائق جديدة كانت خافية ايام الغرام والتنهدات .

ثالثا : لأن كل منهما يستقر على ترويض نفسه للتعايش مع الآخر راضيا بتقديم التنازلات . وغالبا ما يلتقيان فى كل النقاط . وقد لايلتقيان إلا فى نقطة واحدة هى نقطة الشرطة .

رابعا : الفعل « قر » تعتبر مشتقاته قوية الصلة بالزواج . ومنها استقر الرجل استقرارا اى انتهى به المطاف لاهثا فى مقر الزوجية بعد ان ظل يطاردها حتى اوقعت به . وزمان كانت صورة زفاف جدى تظهر فيها جدتى واقفة والعريس جدى جالسا تعبيرا عن انه « سى السيد » الذى تقف له هى احتراما فى حضوره وقد تغير